دكتور بهاء الأمير

الرقيق في الإسلام

"إخوانكم خَوَلُكُم، جَعَلَهُم اللهُ تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليُطعِمه مما يأكلُ، وليَلْبِسْه مما يَلْبَسُ، ولا تكلِّفوهم ما يَغلِبُهم، فإن كَلَّفتُموهم فأَعِينوهم". رواه البخاري ومسلم.

وتجارة العبيد في الغرب



٢٠٢٠م

دكتور بهاء الأمير

الرقيق في الإسلام

وتجارة العبيد في الغرب



٢٠٢٠م

السؤال

fake shadow



لدي سؤال ووسواس مهم يجري للأسف في قلبي، مضمون الوسواس أن العقائد من صنع اليهود والعرب، لأن هذين الصنفين لا يحبون إلا الريادة والجثوم على رأس الأمم واستعبادهم.

ذكرت يا دكتور بهاء أن أول من بدأ تجارة العبيد لأوروبا والقارات الجديدة، كانوا من منظمات الماسونية اليهودية في البرتغال، لكن أيضاً بعد سقوط الأندلس تلك المنطقة كانت بؤرة تجمع اليهود والمسلمين العرب الذين يحبون الاتجار بالعبيد، فكم نصب اليهود والعرب أسواق نخاسة لبيع العبيد في كينيا وتنزانيا إلى عمان، بل سمعت أنه عندما فتح المسلمون مصر اشترطوا عليهم إرسال عبيد كجزية، بل في ليبيا يقوم بعض العرب بالقبض على الأفارقة الراغبين بالذهاب إلى أوروبا وإعادة أيام الرقيق وبيعهم شرط مرورهم.

يقول ابن تيمية في أحد كتبه إن جنس العرب مقدس، ليس فقط لأنه محل اختيارهم للرسالة، بل مقدس لذاته، بل من أهم أسباب سقوط الخلافة العثمانية رغبة العرب في استرداد الريادة والسيادة والحكم.

ثم يا أخي هناك إشكال كبير، إذا كان ديننا يجفف منابع استعباد البشر ويضيقه ويحصره في الحرب، فكيف لا يشترط التأكد من سياسة شراء العبيد، إذ إن كثيراً ممن يتم شراؤهم، خاصة من إفريقيا، أناس مخطوفون من أهاليهم، أو تم قطع الطريق عليهم، أو إغارة قبيلة على أخرى من دون حرب، فقط لسرقة أموالهم وديارهم واستعبادهم، فيشتريه المسلم، كيف هذا، بل وكان يشترون شخصاً مخصياً؟

أرجوك لا تقل لي إنه موجود في أمم أخرى سابقة، أو المماليك حموا الإسلام، إذ كيف لدين الأصل فيه أنه يخرج الناس من العبودية لغير الله، فماذا تقول في هذا يادكتور بهاء؟

الإجابة

دكتور بهاء الأمير

التباس ومشكلة

الكلام في زماننا عن مسألة الرق وأحكام الرقيق في الإسلام وأوضاعهم في المجتمعات العربية الإسلامية، مسألة شائكة لثلاثة أسباب.

الأول، أن معظم الناس يرون مسألة الرقيق داخل المجتمعات العربية الإسلامية ويحكمون عليها من خلال زمانهم وما فيه من أوضاع وشعارات اجتماعية وسياسية، وليس داخل زمان المسألة وأوضاعه الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدولية.

والسبب الثاني، أن مسألة الرقيق في المجتمعات الإسلامية تختلط في أذهان كثير من الناس بتجارة العبيد، وهما في الحقيقة مسألتان مختلفتان وبينهما بون شاسع، والمشكلة أن عموم الناس، وبعض المؤرخين، تلتبس عندهم كثير من المسائل بأخرى، لأنهم يتعاملون مع أسماء المسائل وعناوينها المتشابهة، وليس مع فحواها وتفاصيلها المختلفة، ولا يدركون أن العنوان الواحد قد يقع تحته مسائل متباينة، وبعض المضللين من العلمانيين والشيوعيين يتعمدون الخلط بين المسألتين، لكي يكون ذلك ذريعة لإزاحة الإسلام والدعوة لإبطال شريعته.

والسبب الثالث، وهو أشد الأسباب حساسية، أن الكلام في مسألة الرقيق يمس مشاعر شعوب إفريقيا السمراء التي كانت فريسة لتجارة العبيد المنظمة منذ القرن السادس عشر، ويثير حفيظة أفراد هذه الشعوب، وأي أحد يتناول المسألة بغير هتافات الإنكار والاستهجان والزعيق بشعارات الحرية، لن يقبلوا منه شيئاً وسيكون عندهم مرفوضاً ومتهماً.

وهو موقف نفسي ووجداني مفهوم، ويُقبل منهم، ويُعذرون فيه، ولكن الموقف النفسي والوجداني مسألة، والموقف العقلي والموضوعي مسألة أخرى.

موقف

أولاً وقبل كل شيء، ينبغي ان تعرف موقفي أنا من هذه المسألة، وموقفي هو أنني أكره كراهية شديدة أن يستعبد إنسان إنساناً، وأراه جريمة كبرى وخيانة للإسلام وكتابه ورسوله ومعياره وميزانه، وليس للحرية والإنسانية، بل وأبغض أن يتسلط أحد على أحد أو يفرض عليه إرادته ووصايته، إلا بحقه.

وهذا هو الوجه الأول من موقفي، والوجه الثاني الذي لايكتمل إلا به، هو أنني أرى أن جُل الناس في زماننا عبيد دون أن يدركوا لمن يمتلكون أدوات بث الشعارات عن الحرية والإنسانية في أذهانهم، ويحددون لهم مواصفاتها وكيف تكون، ثم يحركونهم بها في أي اتجاه، ويجعلونهم يفعلون ما يريدونه وهم يتوهمون أنهم هم الذين أرادوه واختاروه.

والحرية الحقيقية الوحيدة هي وجود ميزان يحكم الحكام والأقوياء والأغنياء والرجال والآباء كما يحكم المحكومين والضعفاء والفقراء والنساء والأبناء، ويضبط العلاقة بينهم، ويعرفونه ويخضعون له جميعاً، وأن يكون مصدر هذا الميزان فوقهم أجمعين، ومنزهاً عن الهوى والغرض والمنفعة والانحياز لهذا الطرف أوذاك.

الرقيق في الإسلام

أول شيء وأهمه لفهم مسألة الرقيق في الإسلام، وأوضاعهم في المجتمعات العربية والإسلامية، هو تخليصها من التباسها بمسألة تجارة العبيد، وتحريرها من الصورة النمطية التي صارت تلتصق بأذهان عموم البشر عن هذه التجارة، ورسختها فيها الروايات والأفلام.

وهي الصورة التي تتكون من عنصرين أساسيين، الأول أن العبيد هم الأفارقة السود، حتى صار لفظ العبيد يستدعي إلى الأذهان تلقائياً صورة هؤلاء الأفارقة.

والثاني هو وجود شركات منظمة لقنص الأفارقة واصطيادهم من إفريقيا، ثم معاناتهم الشديدة إبان شحنهم في سفن رديئة إلى القارة الأمريكية، وتسخيرهم في الأعمال الشاقة، وإنزالهم وإعاشتهم في أماكن تسخيرهم، ومعاملتهم بقسوة بالغة، ودون أدنى شفقة أو رحمة، ودون اعتبار لبقائهم أو هلاكهم طالما أنه يمكن إيجاد غيرهم.

أما العنصر الأول في الصورة النمطية لتجارة العبيد، وهو أن العبيد هم الأفارقة السود، فلا علاقة له بمسألة الرقيق في الإسلام، ولا بأوضاعهم في المجتمعات العربية الإسلامية.

فالقرآن أباح وجود الرقيق في المجتمعات الإسلامية، ولكن بميزان يضبط العلاقة بينهم وبين من يملكونهم، ويحدد واجبات الرقيق، وحدود سلطة من يملكه عليه، مثل غيرها من أطراف العلاقات الإنسانية، كالحكام والمحكومين، والأغنياء والفقراء، والآباء والأبناء، والأزواج والزوجات.

ولا يوجد شيء في القرآن ولا في السنة يخص الأجناس السوداء بوصف الرقيق دون الأجناس البيضاء، بل على العكس من ذلك وبخلاف ما هو شائع، كان أغلب الرقيق في المجتمعات العربية في صدر الإسلام وعبر القرون، وإلى ما قبل ظهور الأوروبيين في إفريقيا وبدء تجارة العبيد المعروفة، كان أغلب الرقيق من الأجناس البيضاء، ومن فارس وشرق آسيا وبلدان أوروبا الواقعة تحت سيطرة الإمبراطورية البيزنطية، وليس من إفريقيا.

وعقيدة الإسلام وأصوله ومنظومته القيمية والأخلاقية، هي كلها قائمة على أن البشر جميعاً من أصل واحد، وفي مرتبة واحدة، ولا تمييز بينهم بالأعراق والأجناس، ولا بالألوان والأشكال، ومعيار التمايز الوحيد بينهم هو الإيمان والتقوى والأخلاق والفضائل الذاتية والقدرة والكفاءة، فأبو لهب، عم النبي، والعربي القرشي، من الضالين، وسلمان الرقيق الفارسي من آل البيت، وبلال بن رباح الرقيق الحبشي سيدنا وعتيق سيدنا.

وأما العنصر الثاني في الصورة النمطية لتجارة العبيد، وهو تكوين شركات لقنص الأفارقة وشحنهم بالآلاف في سفن عبر المحيط، واستعبادهم للعمل في ظروف بالغة القسوة، عند أوروبيين يرون أن هؤلاء الأفارقة ليسوا من بني الإنسان، أو أنهم في أدنى مرتبة من سُلم الإنسانية الذي يقف الأوروبيون عند أعلى درجة فيه، ويعاملونهم في أماكن إعاشتهم وطعامهم وكسوتهم وكأنهم حيوانات، فهذا العنصر أيضاً لا صلة له بأوضاع الرقيق في الإسلام وبلدانه وحضارته.

فالقرآن لا يصف الرقيق في أي موضع بأنهم عبيد، ووصفهم مرة واحدة بأنهم عباد، في قوله تعالى:

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ (النور: ٣٢).

ولفظ العباد يختلف عن لفظ العبيد، فهو وصف يحمل معنى اللطف والرحمة من جهة المالك، والرضا والقبول والطاعة من جهة الرقيق، ولذا أورده عز وجل في هذا المقام الذي يحث فيه مالكي الرقيق على تزويجهم، وعلى الزواج من صالحاتهم وتزويج صالحيهم.

وهو نفسه معنى لفظ: **الرقيق** الذي صار اسماً للمملوكين في الحضارة الإسلامية، فهو من الرقة، أي أن هؤلاء الرقيق ضعفاء رقيقو الحال، مما يوجب رعايتهم وحسن معاملتهم والرفق بهم وعدم الإثقال عليهم أو تكليفهم فوق طاقتهم.

والنبي عليه الصلاة والسلام نهى صراحة عن وصف الرقيق بأنهم عبيد، فيقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الإمام مسلم:

"لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي، كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي".

وللرقيق في الإسلام حقوق، قررها لهم القرآن وبينتها السنة، ولسلطة من يملكونهم حدود ليس من حقهم تجاوزها.

ولذا في المجتمعات الإسلامية التي تكونت منظومتها القيمية والأخلاقية من سريان الوحي فيها، كان الرقيق جزءًا من أنسجة هذه المجتمعات، ولا يتميزون عن سادتهم في شيء، فكانوا يسكنون معهم في دورهم، ويأكلون مما يأكلون، ويلبسون مما يلبسون، والرقيق إذا كان رجلاً فهو يعمل جنباً إلى جنب مع سيده في متجره أو مزرعته أو عمله أياً كان، ويعود معه إلى داره، وإذا كان جارية أو فتاة فهي تخدم في منزله مع زوجته وبناته، وإذا دخل أحد داراً ما كان يمكنه أن يميز أصحاب البيت من الرقيق عندهم، عملاً بوصية النبي عليه الصلاة والسلام التي جاءت في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم، والتي نصت على أن الرقيق إخوان للأحرار لا عبيد عندهم:

"إخوانُكم خَوَلُكُم، جَعَلَهُم اللهُ تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فلْيُطْعِمه مما يأكلُ، ولْيَلْبِسُه مما يَلْبَسُ، ولا تكلفُوهم ما يَغْلِبُهم، فإنْ كَلَفْتُمُوهم فَأَعِيْنُوهُم".

فالرقيق في المجتمعات العربية والإسلامية، كانوا طبقة مثل الطبقات الدنيا التي هي جزء من نسيج جميع المجتمعات، كالخدم والعمال والمزارعين الأجراء وعمال النظافة في العصر الحديث، بل كانوا أرقى منهم في العيش والمعاملة.

وإذا بدا لك هذا الكلام رومانسياً أو خيالياً، فإليك وصف المؤرخ وعالم الاجتماع الفرنسي جوستاف لوبون في كتابه: حضارة العرب، لأوضاع الرقيق في بلاد الإسلام، وفي عصور متأخرة وليس في صدر الإسلام، يقول لوبون:

"والذي أره صدقاً هو أن الرق عند المسلمين غيرُه عند النصارى فيما مضى، وأن حال الأرقاء في الشرق أفضل من حال الخدم في أوربا، فالأرقاء في الشرق يؤلِّفون جزءًا من الأسَر، ويستطيعون الزواج ببنات سادتهم أحيانًا كما رأينا ذلك سابقًا، ويقدِرون أن

يَتَسَنَّموا أعلى الرُّتب، وفي الشرق لا يرون في الرق عارًا، والرقيق فيه أكثر صلةً بسيده من صلة الأجير في بلادنا، قال المسيو أبُو: "لا يكاد المسلمون ينظرون إلى الرِّق بعين الاحتقار، فأمهات سلاطين آل عثمان، وهم زعماء الإسلام المحترمون، من الإماء، ولا يَرَون في ذلك ما يَحُطُّ من قَدْرهم، وكانت أسُر المماليك الذين ملكوا مصر زمنًا طويلًا تلجأ، لِتَدُوم، إلى اشتراء صِغار الموالي من القفقاس وتتبنَّاهم في سن البلوغ، وليس من القليل أن يُرَبِّي أميرٌ مصري أحد صغار الأرقاء، ويعلمه ويدربه، ويزوجه ابنته، ويفوض إليه إدارة شؤونه، وترى في القاهرة أكابر من الوزراء والقادة والقضاة اشتُري الواحد منهم في شبابه بما لا يزيد على ألفٍ وخمسمائة فرنك"، واعترف جميع السياح الذين درسوا الرق في الشرق درسًا جِديًّا بأن الضجة المُغْرِضَة التي أحدثها حَوْلَه بعض الأوربيين لا تقوم على أساسٍ صحيح، وأحسن دليل يقال تأييدًا لهذا هو أن الموالي الذين يرغبون في التحرر بمصر ينالونه بإبداء رغبتهم فيه أمام أحد القضاة، قال مسيو إيبِر مشيرًا إلى ذلك: "يجب عد الرقيق في بلاد الإسلام مَبْخُوتًا على قدر الإمكان".

وما أخبرك به عالم الاجتماع الفرنسي جوستاف لوبون، عن موقع الرقيق من أنسجة المجتمعات الإسلامية، وما ناله بعض الرقيق من منزلة رفيعة في بلاد الإسلام، لنباهتهم، أو شجاعتهم، أو حسن تربيتهم وتأديبهم، ودون أن تكون أصولهم كرقيق عائقة لهم عن نيل هذه المنزلة الرفيعة، يؤكده لك المؤرخ الأمريكي وِل ديورانت في الجزء الذي خصصه للإسلام وحضارته، من موسوعته: قصة الحضارة:

"وقد عمل الإسلام على تضييق دائرة الاسترقاق وتحسين حال الأرقاء، فقصر الاسترقاق المشروع على من يؤسرون في الحروب من غير المسلمين، وعلى أبناء الأرقاء أنفسهم، أما المسلم فلا يجوز أن يُسترق، كما لم يكن يجوز في الدين المسيحي أن يسترق المسيحي ... وكان السيد من المسلمين في العادة يُحسن معاملة الرقيق إلى حد لم يكن معه مركزه أسوأ من مركز العامل في المصانع الأوروبية في القرن التاسع عشر، بل لعله كان أحسن حالاً منه، وكان الأرقاء يقومون بمعظم الأعمال الدنيا في المزارع، وبأكثر الأعمال اليدوية التي لا تحتاج إلى مهارة في المدن، وكانوا يعملون خدماً في البيوت، وكان يسمح للعبيد أن يتزوجوا، وأن يتعلم أبناؤهم إذا أظهروا قدراً كافياً من النباهة، وإن

المرء ليُدهش من كثرة أبناء العبيد والجواري الذين كان لهم شأن عظيم في الحياة العقلية والسياسية في العالم الإسلامي، ومن كثرة من أصبحوا منهم ملوكاً وأمراء".

وما قاله جوستاف لوبون وول ديورانت، عن شان الأرقاء في المجتمعات الإسلامية في عصر المماليك والعثمانيين، هو نفسه شأنهم في المجتمعات العربية في صدر الإسلام وعصوره الأولى، فإليك نموذجين، أحدهما في العلم والحديث، والثاني في السياسة والرئاسة.

والنموذج الأول هو نافع مولى عبد الله بن عمر، وقد أُسر في بعض الغزوات، ولا يُعلم أصله تحديداً، وإن كان يرجح أنه من نيسابور، وبعد أن صار مولى ابن عمر لازمه وكان يكتب عنه ما يرويه من أحاديث، فصارت سلسلة الأحاديث التي رواها نافع عن ابن عمر أصح سلاسل الأحاديث، وسميت بالسلسلة الذهبية، وقد لازمه الإمام مالك وتتلمذ عليه وتلقى الحديث عنه، وقال فيه: "**إذا قال نافعٌ شيئاً فاختم عليه**"، وقد أعتقه عبد الله بن عمر قبل وفاته، فولاه عمر بن عبد العزيز على صدقات اليمن.

والنموذج الثاني هو المأمون، ابن الخليفة العباسي هارون الرشيد، فأمه جارية فارسية اسمها مراجل، وكَوْن أمه من الرقيق لم يمنعه من الوصول إلى منصب الرئاسة العظمى لأمة الإسلام، فصار سابع خلفاء بني العباس، ولم يقدح فيه وفي استحقاقه للخلافة أحد من هذا الباب.

وروح نصوص الوحي أن الأصل هو حرية جميع بني الإنسان، ومنهج الإسلام تحرير الرقيق، ولكنه عالج مسألة الرق بطريقة متدرجة، لأسباب سنعرفك بها بعد قليل، فقيد طرق الاسترقاق وجفف منابعه، وحصرها في نوعين: رق الحروب، أي من يقعون في الأسر إبان حرب شرعية ضد عدو غير مسلم، وليس بين بلاد الإسلام وبينه معاهدات أو تنظيمات بخصوص الأسرى، ورق الوراثة، أي أبناء الرقيق.

وبالإضافة إلى هذين الطريقين الشرعيين كان يوجد نخاسون وتجار للرقيق، وكانوا يجلبون الرقيق إلى المجتمعات العربية من مناطق النزاعات والحروب على أطراف بلاد الإسلام، وكان جُل من يجلبونهم صبياناً وفتيات صغاراً، ولكن هؤلاء التجار كانوا يفعلون ذلك بصورة

فردية، أو بإقامة شبكات منهم بين البلدان، ولم تكن في بلاد الإسلام مؤسسات منظمة للاسترقاق، ولا تجارة منظمة للأرقاء، أو تحت إشراف الدولة، كالتي ستراها الآن في تجارة العبيد على الجانب الغربي.

ولم يصبح جلب الأرقاء والتجارة فيهم في بلاد الإسلام عملية منظمة وتحت رعاية الدولة، سوى مع ظهور طبقة المماليك في الدولة الأيوبية إبان الحروب الصليبية، وكان صلاح الدين أول من سعى إلى جلب المماليك ليكونوا من قادة جيشه وجنوده، ثم زاد عددهم زيادة كبيرة في عهد الصالح أيوب، إلى أن ورثوا هم الدولة الأيوبية، وشادوا دولتهم العظيمة التي واصلت رسالة الدولة الأيوبية وأكملت إزاحة الصليبيين والمغول من بلاد الإسلام.

ولا توجد في أي حضارة دولة باسم الرقيق سوى في الإسلام، فالمماليك هم الأرقاء ودولتهم هي دولة الأرقاء.

وطبقة المماليك في معظمها جاءت من آسيا، من بلاد الأتراك والشركس المحيطة ببحر قزوين، وأهلهم هم الذين كانوا يقدمونهم بأنفسهم إلى تجار الرقيق الذاهبين إلى مصر والشام، لأن الرقيق إذا جاء إلى مصر واشتراه أحد مماليكها، يكون بذلك قد وضع قدمه على أول درجة في سلم الصعود إلى السلطة، فإذا صعد درجة أخرى أو درجتين أرسل يحضر أهله إلى مصر.

فالتجارة المنظمة الوحيدة للأرقاء التي عرفتها بلاد الإسلام كانت في حقيقتها استراتيجية لصناعة الأمراء وقادة الجيوش.

تجارة العبيد في الغرب

ولكي توفق أن الرقيق في الإسلام وأوضاعهم في المجتمعات الإسلامية مسألة أخرى تختلف اختلافاً تاماً عن تجارة العبيد وأوضاعهم في الغرب، إليك، وإلى من لا يعرف، لمحة عن هذه التجارة والأوضاع.

وتجارة العبيد المنظمة في إفريقيا، بدأها رجال منظمة فرسان المسيح البرتغالية، التي كان أستاذها الأعظم الأمير هنري الملاح، بعد أن انفتحت أمام سفنهم سواحل إفريقيا الغربية، بعد أن تمكنت البرتغال من الاستيلاء على مدينة سبتة سنة ١٤١٥م، ومنظمة فرسان المسيح هي امتداد منظمة فرسان الهيكل ووريثتها في البرتغال.

وأول شحنة من العبيد وصلت البرتغال سنة ١٤٤٦م، وكانت تتكون من ٢٣٥ إفريقي من البربر في سواحل موريتانيا، وتسلمهم الأمير هنري الملاح بنفسه، ومنح ٤٦ منهم لملك البرتغال مانويل الثاني Manuel II، وهي ضريبة الخُمس من الأرباح التي اتفق عليها مع الملك نظير سماحه للمنظمة بالقيام برحلاتها الاستكشافية وممارسة التجارة باسم المملكة.

وكان الهدف من هذه التجارة مزدوجاً أو ذا وجهين، الأول التجارة في العبيد كقوة عاملة بلا مقابل، والثاني شن حملات على المسلمين الأفارقة واستعبادهم ضمن المواجهات مع المسلمين في المغرب وشمال إفريقيا.

وعند بداية تجارة العبيد كان البرتغاليون يقومون بحملات لاصطياد العبيد من سواحل إفريقيا التي يصلون إليها، واستعانوا في ذلك بتجار من الأفارقة أنفسهم، ثم عقدوا اتفاقيات مع بعض القبائل الإفريقية لتوريد العبيد من الأسرى في حروبهم مع القبائل الأخرى، وزودوا هذه القبائل المتحالفة معهم بالبنادق والبارود ودربوهم على استخدامها، وأكبر هذه القبائل الإفريقية التي تحالفت مع البرتغال وأعضاء منظمة فرسان المسيح، قبيلة الأشانتي وقبيلة الفانتي في ساحل الذهب أو ساحل غانا.

ومع استكمال استكشاف سواحل إفريقيا الغربية، تكونت شركات منظمة لاصطياد الأفارقة وشحنهم إلى مراكز للتجميع بطول سواحل إفريقيا، أكبرها جزيرة ساو خورخي دا مينا São

Jorge da Mina، في ساحل الذهب، التي حولتها البرتغال سنة ١٤٨٢م إلى قلعة تحكم منها تجارة الأفارقة وتسيطر عليها، وجزيرة ساو تومي São Tome، في خليج غينيا.

وبعد أن كانت المحطة النهاية للأفارقة المأسورين هي البرتغال نفسها، ثم توزيعهم في البرتغال وإسبانيا وداخل أوروبا، تحول تيار الأفارقة إلى القارة الأمريكية، بعد أن وقَّعت البرتغال اتفاقية مع إسبانيا لتوريد العبيد إلى مستعمراتها.

ومع بروز قوى أوروبية جديدة، دخلت في أسر الأفارقة وبيعهم شركات هولندية وفرنسية، أبرزها شركة الهند الغربية الهولندية، ثم آلت السيطرة على تجارة الأفارقة بكل عناصرها إلى بريطانيا، بعد معاهدة اوتريخت Utrecht، سنة ١٦٠٠م، التي احتكرت بها بريطانيا توريد الأفارقة للمستعمرات الإسبانية.

وفي سنة ١٦٦٦م، كوَّن تجار لندن الشركة الملكية الإفريقية The Royal African Company، تحت رعاية دوق يورك/الملك جيمس الثاني لاحقاً، وأغلب هؤلاء المؤسسين كانوا من مالكي أسهم شركة الهند الشرقية البريطانية، وعلى رأسهم رئيس الشركة جوزياه تشايلد Josiah Child، وهو من اليهود الأخفياء، وقد صارت الشركة الملكية الإفريقية أكبر شركة في التاريخ لاقتناص الأفارقة وتوريدهم للمستعمرات البريطانية والإسبانية في القارة الأمريكية، وخلال قرن من تأسيسها كانت الشركة قد جلبت إلى القارة الأمريكية نحو ثلاثة ملايين إفريقي.

وفي سنة ١٦٧٩م أصدر البرلمان البريطاني قانون التجارة مع إفريقيا Trade with Africa Act، ومنح فيه حق ممارسة التجارة لأي شركة بشرط دفع ضريبة قدرها ١٠% من قيمة البضائع التي تتاجر فيها، فتكونت شركات أخرى لقنص الأفارقة وبيعهم، أشهرها شركة تجار بريطانيا للتجارة في البحار الجنوبية Cmpany of merchants of Britain for trading with south seas، وصارت ليفربول ولانكستر مواني تجارة الأفارقة الرئيسية في أوروبا.

وعند أوائل القرن التاسع عشر كان عدد السفن البريطانية العاملة في تجارة الأفارقة ٢٠٠ سفينة، وعدد من اقتنصتهم الشركات البريطانية من الأفارقة وشحنتهم إلى القارة الأمريكية أربعة أمثال ما جلبته الشركات من جميع الدول الأوروبية الأخرى مجتمعة.

وكانت تجارة الأفارقة في جميع الشركات ومن جميع الدول الأوروبية لها سيناريو واحد، فتبدأ بتنظيم حملات عسكرية مسلحة بالبنادق على القبائل لقنص الأفارقة وأَسرهم، وبعد سيطرة الشركات البريطانية على تجارة الأفارقة ابتكرت وسائل دنيئة لهذا القنص والأسر، فكانت تشعل النيران في الغابات والمزارع القريبة من أكواخ الأفارقة لإفزاعهم وإجبارهم على الخروج منها للفرار من النيران، ثم تقوم باصطيادهم وسط الفوضى الناشبة.

وفي الوقت نفسه حافظت الشركات البريطانية على وجود القبائل الإفريقية نفسها كأحد عناصر توفير العبيد، عبر تحريضها وتغذية النزاعات بينها، واستقطاب القبائل القوية القريبة من السواحل وإمدادها بالسلاح وتدريبها ومنحها جزءًا من أرباح التجارة في صورة سلع وبضائع.

والخطوة التالية هي تقييد أيدي المأسورين بالحبال من الخلف، وربطهم معاً في مجموعات، وكل مجموعة تتكون من طابور، ويربط بين أفراد كل طابور عمود العبيد Slave Stick، وهو لوح عريض من الخشب، به فجوات على قدر الرأس على مسافات متساوية، فتوضع رأس كل فرد في الطابور في إحدى الفجوات، فيصيرون بذلك مقيدين إلى بعضهم ويتحركون ككتلة واحدة، ثم يساقون سيراً على الأقدام عدة أميال، ومِن خلفهم مَن أسروهم والسياط في أيديهم يلهبون بها ظهورهم، ومن يموت أو يصيبه الإعياء وتعجز السياط عن دفعه لمواصلة المشي، يحلون قيوده ويتركونه يموت في مكانه.

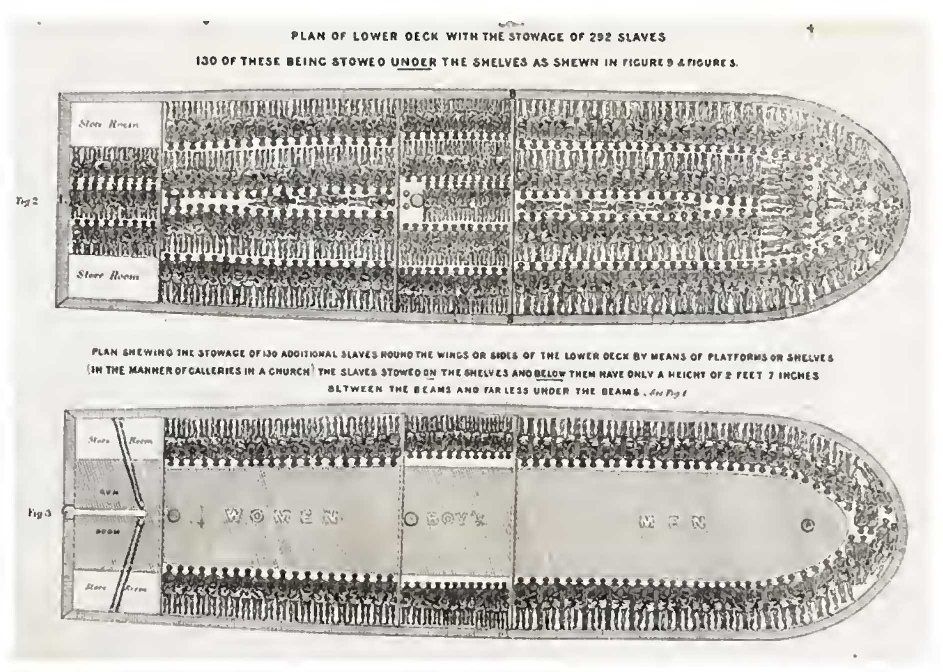

BAND OF CAPTIVES DRIVEN INTO SLAVERY

لوح العبيد

فإذا وصلت طوابير الأفارقة المأسورين إلى الساحل تم شحنهم في سفن إلى مراكز التجميع والحصون التي أقامتها شركات تجارة العبيد بامتداد سواحل إفريقيا الغربية، ثم تبدأ من هذه المراكز الرحلة عبر الأطلنطي إلى المستعمرات الأوروبية في القارة الأمريكية، فإليك وصف المؤرخ الأمريكي جيمس ماك ماستر James Mc Master، وكان من المناهضين لتجارة العبيد في القرن التاسع عشر، لهذه الرحلة:

"عندما تغرب الشمس يقومون بإنزالهم جميعاً إلى أسفل السفينة، وكانوا ينامون على الأرض، والمساحة المخصصة لكل منهم كي ينام فيها ٦ أقدام طولاً، و١٦ بوصة عرضاً، وكانوا يُضربون بالسياط لإجبارهم على النوم متلاصقين في أضيق مساحة، وكان من المستحيل أن يجد أحدهم مساحة يتقلب فيها، ومأساة الليل هذه كانت أهون من مأساة النهار، إذ كان مالكو السفينة من التجار يحيطونها بشبكات من الحبال والأقمشة الثقيلة

التي تمنع الهواء، فيغرق الزنوج في عرقهم، وكانت صيحات الألم التي يصرخونها تصل إلى أسماع التجار في أعلى السفينة، وإذا مات بعضهم قذفوا به في المحيط، وبسبب سوء حالة السفن وتكدس العبيد وانتشار الأوبئة بينهم، كان يموت كثير منهم، وفي بعض الأحيان كان ثلث حمولة السفينة من العبيد يموتون إبان الرحلة في المحيط، وكثير من الزنوج كانوا يصابون بالجنون، أو يلقون بأنفسهم في المحيط، وفي أحيان أخرى كان مالكو السفينة يقذفون بجزء من حمولتها من العبيد في المحيط أحياءًا عند نقص المياه أو الأطعمة، وأشهر حادثة من هذا النوع أن السفينة الإنجليزية زونج Gzong أبحرت من ليفربول سنة ١٥٨١م، بكامل حمولتها من الأفارقة عبر الأطلنطي، ثم نقصت المياه قبل أن تصل إلى الشواطئ الأمريكية، فألقى أصحابها ١٣٢ من الأفارقة أحياءًا في المحيط ليوفروا الماء، ثم أقاموا دعوى قضائية حصلوا بها من شركات التأمين على تعويض قدره ٣٢ جنيهاً إسترلينياً عن كل إفريقي ألقوه في المحيط باعتبارهم بضائع وممتلكات شخصية، واعتبرت المحكمة أن ما فعلوه لا يدخل في جرائم القتل، ورغم هذه الخسائر في أرواح الأفارقة كانت أرباح الشركات تصل أحياناً إلى ١٠٠٠% في الرحلة الواحدة".



رسم للسفينة الإنجليزية بروكس Brookes، يُظهر قطاعاً في السفينة وطريقة شحن العبيد، إبان الرحلة عبر الأطلنطي، وقد أعادت تصميم السفينة جامعة دورهام Durham، في انجلترا، باستخدام وثائق السفينة ورسومها.

فإذا وصلت السفينة إلى جزر البحر الكاريبي على مشارف القارة الأمريكية، استقبلها تجار العبيد، ليقوموا ببيع الأفارقة إلى المستعمرات الأوروبية، فيُسخر الرجال للعمل في المزارع والمناجم، وتعمل النساء والفتيات في البيوت والحظائر.

وكانت فترات العمل لا تقل عن ١٤ ساعة في اليوم، وفي بعض المستعمرات كانت تصل إلى ١٩ ساعة يومياً، في ظروف قاسية، ودون أجر ولا طعام يكافيء ما يقوم به العبيد من أعمال شاقة، ولا راحة كافية، ونومهم في أماكن عملهم، ودون أن يكون المرض مانعاً من تسخيرهم، ولذا كان أغلبهم يموت بعد بضع سنوات، ونادراً ما كان يتخطى أحدهم سن الخمسين.

وفي سنة ١٦٦٠م وضعت المستعمرات البريطانية في القارة الأمريكية قوانين ولوائح لمعاملة العبيد، تحول بها الاستعباد وتجارة العبيد إلى مسألة قانونية، وتعاملت مع الأفارقة على أنهم حيوانات أو أشياء، وليس على أنهم بشر، وهذا هو وصف ماك ماستر لأحوالهم:

"كان الجَلْد عقوبة أي أسود لديه كلب أو يركب حصاناً أو يتنزه أو يشتري أو يبيع بغير إذن مالكه، وكان ممنوعاً عليهم تعلم القراءة والكتابة، والابتعاد عن المزارع التي يعملون فيها إلا بصحبة مالكهم الأبيض، وإذا هرب العبد الأسود فمن حق أي رجل أبيض أن يقتله إذا عثر عليه".

ومع نهاية القرن السابع عشر أصبح الأفارقة يباعون في مزادات علنية وقانونية تقيمها سلطات المستعمرات الأمريكية، وبين أوائل القرن السادس عشر ومنتصف القرن التاسع عشر كان عدد الأفارقة الذين استعبدتهم الدول والشركات الأوروبية وجلبتهم إلى القارة الأمريكية، حوالي ١٥ مليون إفريقي، وفي مقابل كل إفريقي يصل إلى القارة الأمريكية كان يموت من ٥ إلى ٧ أفارقة في أثناء حملات قنصهم وأسرهم وسيرهم مكبلين من الداخل إلى السواحل، وإبان الرحلة القاسية من أوروبا إلى أمريكا عبر الأطلنطي، فبلغ العدد الإجمالي للأفارقة ضحايا تجارة العبيد الأوروبية المنظمة والمشمولة برعاية الحكومات الأوروبية وفي حماية قوانينها، حوالي ١٠٠ مليون إفريقي، وبعض المؤرخين يصل بهم إلى ١١٥ مليوناً.

اليهود وتجارة العبيد

في بداية الباب الذي عنوانه: دور اليهود في تجارة العبيد السود Jewish Involvement In Black Slave Trade، من كتابه: تاريخ اليهود واليهودية في أمريكا The History of Jews and Judaism in America، يقول الربي مارك لي رافاييل Marc Lee Raphael، وهو أيضاً أستاذ الدراسات الدينية في جامعة وليم وماري William & Mary، في الولايات المتحدة، إنه:

"في المستعمرات الهولندية في القرن السابع عشر، وكذلك في المستعمرات البريطانية في بريادوس وجامايكا في القرن الثامن عشر، لعب التجار اليهود دوراً محورياً Played a major role في تجارة العبيد، وفي الحقيقة كان التجار اليهود هم سادة هذه التجارة، في جميع المستعمرات الأمريكية، سواء كانت فرنسية أو بريطانية أو هولندية".

فإليك بعض التفاصيل من كتاب الربي والبروفسور اليهودي مارك رافاييل، وكتاب: العلاقات السرية بين السود واليهود The Secret Relationship Between Blacks and Jews، للويس فراخان Louis Farrakhan.

مع سقوط الأندلس، وهرباً من محاكم التفتيش، نزحت موجات من اليهود من إسبانيا والبرتغال، إلى هولندا، ثم لاحقاً إلى انجلترا، ومعهم ثرواتهم من الذهب والفضة، وصار هؤلاء سادة التجارة وأصحاب بيوت المال، خصوصاً في أمستردام ولندن، وأكبر أصحاب الأسهم في شركات الهند الشرقية والغربية، الهولندية والبريطانية.

وخلال القرن السادس عشر، ومع تكوين المستعمرات الهولندية والبريطانية في القارة الأمريكية، انتقل نشاط هؤلاء التجار اليهود إليها، وأكبر المستعمرات الهولندية التي انتقل إليها نشاط اليهود: كوراكاو Curacao، في البحر الكاريبي، وسورينام Surinam، في شمال أمريكا الجنوبية، ورسيف Recife، في البرازيل، ونيوأمستردام (نيويورك لاحقاً) New Amsterdam، في أمريكا الشمالية.

وأكبر المستعمرات البريطانية: باربادوس Barbados، وجامايكا Jamaica، ونيوبورت Newport، وجميعها جزر في البحر الكاريبي، وهو مدخل القارة الأمريكية، ويقع بين أمريكا الشمالية والجنوبية.

وعند أوائل القرن السابع عشر كانت تجارة العبيد وما يتصل بها هي النشاط الرئيسي للتجمعات اليهودية في جزر البحر الكاريبي، وكان أكبر عشر تجار عبيد في جزر البحر الكاريبي والمستعمرات في أمريكا الشمالية من اليهود.

وعند أواخر القرن السابع عشر كان في مستعمرة سورينام ١٠٠ أسرة يهودية تسيطر على تجارة العبيد في المستعمرة، وحولتها إلى نقطة تمركز لتجارة العبيد القادمة من أوروبا في طريقها إلى المستعمرات الأمريكية.

ومنذ أوائل القرن الثامن عشر وحتى تحرير العبيد بعد منتصف القرن التاسع عشر، صارت تجارة العبيد بين أوروبا وجزر البحر الكاريبي، ثم توزيع العبيد من هذه الجزر إلى داخل القارة الأمريكية، صارت تنظيماً احتكارياً، تحتكره حوالي ٣٠ أسرة يهودية، وكل من يعملون في هذه التجارة، من أصحاب السفن، وناقلي العبيد عبر الأطلنطي، والتجار الكبار الذين يستقبلون شحنات العبيد في جزر الكاريبي، وأصحاب أسواق بيعهم داخل القارة، ومن يقيمون مزادات البيع، من هذه الأسر اليهودية أو وكلاء لهم.

وأكبر هذه الأسر: أسرة لوبيز Lopez، وأسرة ليفي Levy، وأسرة ريفيرا Rivera، وأسرة دا كوستا Da Costa، وأسرة سيكاس Seixas، وأسرة دي تورو De Touro، وأسرة جوميز Gomez، وأسرة هيز Hays، وأسرة دي سوزا De Souza، وأسرة منديز Medes، وأسرة فرانكس Franks، وأسرة سويفتس Sweevts.

وأشهر وأكبر تاجر عبيد في القارة الأمريكية في النصف الأول من القرن الثامن عشر، هو اليهودي جاكوب فرانكس Jacob Franks، وكان الوكيل الرسمي لملك بريطانيا جورج الأول George I، في المستعمرات البريطانية في أمريكا الشمالية، ويتمركز في نيويورك.

وثاني أكبر تاجر عبيد في القارة الأمريكية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، هو اليهودي فليكس دي سوزا Felix de Souza، والملقب بأمير النخاسين Prince of Slavers.

أما أكبر وأشهر تاجر عبيد في القرن الثامن عشر، وفي تاريخ القارة الأمريكية على الإطلاق، فهو اليهودي هارون لوبيز Aaron Lopez، فإليك طرفاً من سيرته، نأتيك بها، ليس لأنه أشهر تاجر عبيد في التاريخ، بل لأنها نموذج على السيرة التقليدية لليهود الأخفياء في كل العصور، في الغرب والشرق، وتفهم منها كيف يمكن أن يصير بعضهم رئيساً للولايات المتحدة الماسونية، أوعلى رأس بعض الدول في بلاليص ستان العربية.

وُلد هارون لوبيز في لشبونة في البرتغال، سنة ١٧٣١م، لأسرة من يهود السفارديم الأخفياء، فكانت أسرته تعيش في البرتغال على أنها كاثوليكية وتمارس طقوسها في الظاهر، بينما هي في حقيقتها يهودية وتمارس طقوس اليهودية سراً، ولذا كان له اسمان، اسم مسيحي برتغالي يعيش به ويعرفه الناس في البرتغال، وهو دوارت Duarte، واسم عبري يهودي لا يعرفه إلا أسرته، وهو هارون.

وفي سنة ١٧٥٢م هاجر هارون إلى نيوبورت، في جزيرة رود أيلاند Rhode Island، أحد أكبر مراكز تجارة العبيد في البحر الكاريبي، وكان أخوه الأكبر موشيه قد هاجر إليها قبله بعشر سنوات، وما أن وصل إلى نيوبورت، حتى خلع اسمه البرتغالي دوارت، وصار يعيش باسمه الحقيقي هارون، واختتن وهو في الثانية والثلاثين من عمره، وكان الختان أحد العلامات الرئيسية التي تبحث عنها محاكم التفتيش، للتمييز بين النصارى واليهود.

وبدأ هارون لوبيز حياته في رود أيلاند بتكوين شركة مع ثمانية آخرين من اليهود لتجارة الزيوت والشموع، وفي سنة ١٧٦١م، اشترك مع أحد أفراد أسرة ريفيرا، وهو اليهودي جاكوب رودريجز ريفيرا Jacob Rodriguez Rivera، في شراء سفينة نقل العبيد عبر الأطلنطي جراي هَوند Grayhound، وكانت أول شحنة ينقلها تتكون من ١٣٤ من الأفارقة، وكان قد تعاقد على بيعهم مع إسحق دا كوستا Isaac da Costa.

وخلال ١٠ سنوات صار لهارون لوبيز ٣٠ سفينة كبيرة تعمل في شحن العبيد عبر الأطلنطي، وأصبح أكبر تاجر عبيد وأغنى شخص في جزر الكاريبي كلها.

وكان لهارون لوبيز وكيل في جزيرة سان أوستاتيوس St.Eustatius، وهي جزيرة صغيرة لا تتعدى مساحتها ثمانية كيلومترات طولاً في أربعة كيلومترات عرضاً، وذات موقع حيوي فريد، إذ تقع في مدخل البحر الكاريبي، عند التقائه بالمحيط الأطلنطى، ومن ثَم فهى مدخل القارة الأمريكية الشمالية من الجنوب، فكان وكيل هارون لوبيز، اليهودي سامسون ميرز Samson Mears، يتولى استقبال شحنات العبيد القادمة إلى الجزيرة، وينقلها إلى لوبيز في مستعمرة رود أيلاند، فيقوم هو بتوزيعهم داخل القارة الأمريكية.

ومن الطرائف أن المجلس الحاكم لمجموعة جزر ليوارد Leeward وسان أوستاتيوس إحداها، وجه إنذاراً لليهود خصيصاً اتهمهم فيه بأن كثيراً ممن يتاجرون فيهم ويبيعونهم كعبيد هم أصلاً من قاطني هذه الجزر!

وهاك قائمة بأشهر ١٠ سفن شحن للعبيد عبر الأطلنطي في تاريخ القارة الأمريكية، وأسماء مالكيها:

السفينة	المالك
ألبيجيل Abigail	هارون لوبيز، وموشيه ليفي
كراون Crown	إسحق ليفي، وناثان سيمبسون
ناسو Nassau	موشيه ليفي
آن وإليزا Anne & Eliza	جستس بوش، وجون أبرامز Justus Bosch and John Abrams
إليزابيث Elizabeth	موردخاي ودافيد جوميز
أنتيجوا Antigua	ناثان مارستون وأبرام ليل Nathan Marston and Abram Lyell
بستي Betsy	جيمس دي وولف James DeWoolf
وايت هورس White Horse	جان دي سويفتس Jan de Sweevts
تشارلوت Charlotte	جاكوب فرانكس

سام ليفي	كاراكوا Caracoa

وكما ترى، أصحاب أكبر ١٠ سفن لنقل العبيد إلى القارة الأمريكية عبر التاريخ، هم جميعاً من اليهود.



اليهودي هارون لوبيز، أشهر تاجر عبيد في التاريخ

تحرير الرقيق في الإسلام

والآن إلى مسألة تحرير الرقيق في الإسلام، وقد أخبرناك أن روح نصوص الوحي أن الأصل هو حرية جميع بني الإنسان، وأنهم جميعاً إخوة من أصل واحد، وأن منهج الإسلام تحرير الرقيق، ولكنه عالج مسألة الرق بطريقة منهجية متدرجة وعملية وليس بالشعارات ولا بالتحريض والتهييج، كشأنه في جميع شؤون المجتمع والعلاقات الإنسانية، فقيد الإسلام طرق الاسترقاق وجفف منابعه، وحصرها في نوعين: رق الحروب، ورق الوراثة أو أبناء الرقيق، ومع تجفيف الإسلام لمنابع الرق وتقييده في هذين النوعين، فتح أبواب تحرير الرقيق ووسائله.

وعلى رأس وسائل الإسلام لذلك أن ربط عتق الرقيق بعقائده وجعله جزءًا من منظومته الأخلاقية القائمة على الإيمان بالله واليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، فيقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه أبو داوود والنسائي:

"**من أعتق رقبةً مؤمنةً أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار**".

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد أن:

"**أعرابياً جاء النبي فسأله: "يا رسول الله، علمني عملاً يدخلني الجنة، فقال عليه الصلاة والسلام: "أعتق النسمة وفك الرقبة"، قال الأعرابي: "يا رسول الله، أليستا واحدة؟"، قال: "لا، إن عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في عتقها**".

وبعد ذلك جعل القرآن عتق الرقيق كفارة للخطايا والذنوب، وركناً في قبول توبة المسلم عنها، فنص القرآن على عتق رقبة من الرقيق كفارة لقتل مؤمن حر خطأً:

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ﴾

(النساء: ٩٢)

وكفارة للظهار:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾ (المجادلة: ٣).

وللحنث في اليمين:

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ (المائدة: ٨٩).

ومن وسائل تحرير الرقيق، أن القرآن أمر المؤمنين به من مالكي الرقيق أن يستجيبوا لهم إذا طلبوا أن يتحرروا بالمكاتبة، أي ان يتفق الرقيق مع مالكه على أن يعتقه في مقابل مال يدفعه له جملة واحدة أو على مراحل، بل وأمر عز وجل مالكي الرقيق أن يعِينوهم بعد المكاتبة ويمنحوهم من مالهم ما سوف يدفعونه لهم، وما يساعدهم على بدء حياتهم الجديدة.

فيقول عز وجل:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ (النور: ٣٤).

وتحرير الرقيق أحد مصارف الزكاة التي تجمعها الدولة الإسلامية بنص القرآن أيضاً:

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ (التوبة: ٦٠).

وأباح القرآن زواج المسلم الحر من أمته، أو معاشرته لها، فإذا أنجبت منه صارت تلقائياً أم ولد حرة.

ومن لطم فتاه أو جاريته من الرقيق على وجهه، أو ضربه ضرباً موجعاً بغير حق، فجزاؤه تحريره، وفي صحيح مسلم عن ابن عمر أنه قال:

"إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من ضرب غلاماً له حداً لم يأته، أو لطمه، فإن كفارته أن يعتقه".

وقد تسأل الآن: ولماذا لم يحرر الإسلام الرقيق مرة واحدة، ولماذا لم يأت القرآن بحكم باتٍ يحرم به الاسترقاق وينهي هذه المسألة من جذورها؟

والإجابة: لأن في الإبقاء على الاسترقاق بالطرق الشرعية التي أباحها الإسلام، وإنهائه في الوقت نفسه تدريجياً وبطريقة عملية عبر تجفيف منابعه الأخرى وفتح قنوات متعددة لتحرير الرقيق، في ذلك حِكم عديدة، وما يجعل معظم الناس لا يدركونها أنهم ليسوا على وعي بملابسات الزمان الذي كان فيه الرقيق، وموقعهم من نسيج المجتمعات فيه، ولا بطبيعة العلاقات بين الدول إذ ذاك، وأنهم يرون المسألة برمتها ويحكمون عليها من خلال الزمان الذي يعيشون فيه، والصورة التي نشأوا عليها وألفوها للمجتمعات، وما يملأ وسائل الإعلام والخطاب العام من شعارات عن الحرية والإنسانية، وهي شعارات مزيفة يراد منها استعباد البشر جميعاً بقيود ناعمة غير مرئية.

وأول هذه الحِكم أنه لم تكن في ذلك الزمان علاقات بين البلدان كالتي تراها اليوم، ولم يكن ثمة معاهدات لتنظيم الحروب، ولا لمعاملة الأسرى، ولذا فإباحة الإسلام لاسترقاق الأسرى، مع ترتيب حقوق لهم والأمر بحسن معاملتهم، التي يراها الحمقى نقيصة، كانت في الحقيقة إحياءًا لهؤلاء الأسرى ومنَّة عليهم، لأن البديل هو قتلهم، كما كانت تفعل الدول غير المسلمة.

وثاني هذه الحِكم أن الرقيق كانوا في المجتمعات العربية الإسلامية طبقة من طبقات المجتمع وتتشابك مع جميع أنسجته، وليسوا تجمعات في أماكن العمل ومعزولة عنها، كما في الغرب، وهي الطبقة الدنيا التي تقوم بالخدمة ورفع الأحمال والأعمال اليدوية والحرفية، وهي طبقة موجودة في جميع المجتمعات، ولا تستغني عنها، وإن اختلف اسمها، وفي علم الاقتصاد في العصر الحديث يسمونهم أصحاب المهن الرثة.

وتحرير الرقيق بصورة فجائية وجماعية يعني إخراج هذه الطبقة من أنسجة المجتمعات وتوقف المهن التي كانوا يؤدونها فيها، ومن ثم توقف الأعمال وانهيار المجتمعات.

وفي تدرج الإسلام ومنهجه العملي لتحرير الرقيق خطوة خطوة حكمة خفية تتعلق بالرقيق أنفسهم، ولم يفطن إليها من تعرضوا لهذه المسألة.

فالطريق الشرعية لجلب الرقيق إلى بلاد الإسلام هي أسرهم في الحروب، والنخاسون كانوا يجلبون الرقيق صغاراً من مناطق النزاعات، وسواء جاء الرقيق بطريقة شرعية أو غير شرعية، فقد انقطعوا عن بلادهم التي جُلبوا منها، ولم يعد ثمة طريقة يعودون بها إليها، وجُلهم آمنون في كنف سادتهم، وتحرير الرقيق فجأة ومرة واحدة بالطريقة التي تتوهم أنها هي التي كان يجب أن تكون، تبدو وهي مسألة نظرية أو على الورق قصة رومانسية خلابة في عناوينها وإرضائها للخيال وإشباعها للوجدان في العصر الحديث، لكنها في حقيقتها وعند التطبيق العملي مأساة وكارثة على الرقيق أنفسهم، لأنها تعني إطلاق آلاف البشر وملايينهم في الشوارع دون مأوى ولا عمل ولا مورد رزق.

ويقرب لك معنى هذه الكارثة أن تدرك أنها مثل تسريح العمالة في زمانك، ولكن بصورة فجائية وأكثر حدة، فالذي تتوهم أنه ما كان يجب أن يكون يدخل في قول أمير الشعراء وهو يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام ويقارن بين منهج الإسلام في معالجة مسألة الفقر وبين الشيوعيين والاشتراكيين:

داوَيت متئداً وداوَوا طفرةً ... وأخف من بعض الدواء الداءُ

وداخل هذه الحكمة الخفية للتدرج في إبطال الرق، حكمة أخرى أخفى، فالمجتمعات العربية والإسلامية، بل وجميع المجتمعات قبل العصر الحديث، الذي تمكن اليهود والحركات السرية فيه من تمزيق روابط المجتمعات، وإعادة صناعتها وهيكلتها على الفردية المطلقة، لكي يقع جميع الأفراد متفرقين تحت سطوة وسائل الإعلام التي يملكونها ويُسخرونها بما يمتلكونه من أموال، المجتمعات العربية والإسلامية كانت قائمة على التعارف، والفرد فيها

جزء من رابطة أكبر ينتمي إليها ويُعرف بها، فتمنحه القوة وتعينه في النوائب، ويلتزم هو بسلوكها، فالفرد، حراً أو رقيقاً، عضو في أسرة، والأسرة جزء من قبيلة أو حي أو بلدة.

وهذه الرابطة والانتماء له فائدة مزدوجة، فمن جهة تحمي كل فرد من أن يتعدى عليه الأفراد الآخرون، لأن التعدي عليه يعني التعدي على أسرته وقبيلته وحيه أو بلدته، وفي الوقت نفسه تردع الفرد نفسه عن فعل السوء أو المجاهرة به أو التعرض لغيره، لأنه يجلب بذلك المشاكل لأسرته وقبيلته أو بلدته كلها، وتكون عقوبته أو إصلاح ما فعله مسؤولية أفرادها جميعاً.

وإطلاق الرقيق بصورة حادة وفجائية يعني أمرين، الأول هو أن يصيروا فرادى مجهولين وضعفاء ضائعين وسط الروابط الكبيرة، والثاني أن يتحول قسم منهم إلى مجرمين ويُروعون المجتمعات بعد أن أُخرجوا من أنسجتها ولم تعد ثمة رابطة بينهم وبينها.

تحرير الرقيق ولا عكس

ويبقى في مسألة تحرير الإسلام للرقيق وأسلوبه العملي المتدرج لذلك سؤال، وهو: هل يجوز الرجوع إلى الرق وإعادة الاسترقاق في زماننا، بعد أن لم يعد للرقيق وجود؟

والإجابة على هذا السؤال لابد أن يسبقها التنبيه إلى الفرق بين التعامل الأعمى مع الوحي ونصوصه، وبين عقلها وإدراك روحها وغاياتها ومقاصدها العليا.

فالاسلام قيد الرق وجفف منابعه وفتح أبواب تحرير الأرقاء وعدَّدها، ضمن استراتيجية متدرجة ومتأنية لإنهاء الاسترقاق والرق، وأحكام القرآن بخصوص الرقيق كانت لأنه جاء وهم موجودون فعلاً وجزء من أنسجة المجتمعات، وتحريرهم الفجائي ومرة واحدة يؤدي الى انهيارها، وإلى ضياعهم هم أنفسهم.

وروح الإسلام والقرآن أن بني الإنسان جميعاً إخوة من أصل واحد، وأنهم جميعاً عباد الله وحده، ومنهجه وغايته العليا العمل على تحرير الرقيق وانهاء الرق، فإذا انتهى الرق من العالم ولم يعد له وجود ثم جاء أحد ليقول إن القرآن يبيح الرق بدليل وجود أحكام لهم فيه، ودعا إلى إعادة الرق والاسترقاق، فهو أحمق لا يفقه النصوص ولا يدرك روح الوحي ومقاصده.

ولتقريب المسألة إليك بنموذج قريب منها، فموقف الإسلام والقرآن من مسألة الرق ومنهجه المتدرج المتأني في معالجتها، هو بالضبط مثل منهجه في معالجة مسألة الخمر، وقد حرَّمها خطوة خطوة وليس مرة واحدة.

والفرق بين المسألتين أن تدرج الإسلام في معالجة مشكلة الخمر كان على مدى زمني قصير، ومعالجته لمشكلة الرق على مدى زمني طويل، لأن الخمر تستنزف طاقات الإنسان وتُذهب عقله، وتأكل قوة المجتمع وتهوي باقتصاده، بخلاف الاسترقاق والرقيق التي هي مشكلة اجتماعية ونفسية مستهجنة ولكنهم طبقة من المجتمعات وجزء من أنسجتها، ويرتبط اقتصادها بهم ويقوم عليهم.

والذي يأتي بعد أن اختفى الرقيق والاسترقاق، وانفك ارتباط اقتصاد المجتمعات بهم، ليقول بإعادة الرقيق مستدلاً بآيات القرآن في شأنهم، هو بالضبط كمن يقول بإباحة شرب الخمر في غير أوقات الصلاة مستدلاً بقوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء: ٤٣).

غافلاً عن أن ذلك كان خطوة في طريق إنهائها إنهاءً تاماً، وأنها إذا انتهت فلا عودة.

تحرير العبيد في أوروبا

جوهر القبالاه وعقيدتها المحورية، أن الحقيقة والغايات الحقيقية يجب أن تكون محجوبة عن عموم البشر، ولا يدركها سوى الصفوة، ولحجب الحقيقة عن عموم البشر يجب دائماً تغليفها في أغلفة يتعلقون بها ويستهلكون أذهانهم في رصدها وتسجيلها وتحليلها والاختلاف حولها، وتَصرفهم عن الحقيقة المحجوبة خلفها.

وقد حولت الحركات السرية مع صعودها في أنسجة الغرب وسيطرتها على مقاليده هذه العقيدة إلى استراتيجية شاملة تسري في كل شيء، ثم صارت سمة عامة وراسخة من سمات الغرب، فكل حدث لابد أن يواكبه تدبير حدث آخر يصرف الأنظار عنه، وكل غاية لابد لها من غاية أخرى تغلفها، وهي التي تُصدَّر للتاريخ وكاميراته، وللمؤرخين وما يؤرخونه.

فنابليون الماسوني شن حملته على مصر، وقد غلفها في غلاف:

"تخليص الإقليم الأحسن الذي لا يوجد مثيله في كرة الأرض كلها من يد المماليك الظالمين ".

كما قال في أول منشور له لأهل مصر.

والإمبراطوريات الماسونية شنت حملاتها لتفكيك الشرق وتحويله إلى محضن للمشروع اليهودي، دون أن يدرك أحد أن هذه غايتهم بعد أن غلفوها بأغلفة عدة، كل منها يحجب الذي يليه، وجميعها تخفي هذه الغاية في باطنها.

فرفعوا على هذه الحملات شعارات تحضير الشعوب، ليكون أقصى ما يصل إليه الفطنون من الأميين أن هذا غلاف والمقصود الحقيقي الاستعمار ونهب ثروات الشعوب، ودون أن يدركوا أن ما وصلوا إليه هو نفسه غلاف آخر للغاية الحقيقية المستقرة في قرارها المكين ولن تظهر إلا بعد أن تتحقق وتصبح حقيقة واقعة.

وكذلك تحرير العبيد في الغرب، فقد رفعت عليه إمبراطوريات الغرب شعارات خلابة ورايات براقة عن تحرير الإنسان والمساواة بين البشر، ولكن غاياتها من إطلاق العبيد شيء آخر لا علاقة له بالتحرير ولا بالمساواة.

وإليك أولاً مثالاً تدرك منه مخالفة باطن الغرب، دولاً وأفراداً، لظاهره، وأن ما يرفعه من شعارات ورايات لا صلة له بسلوكه ولا دوافعه الحقيقية، بل هي وسيلة لتمويهها.

والمثال هو الماسوني فولتير، رمز الحرية وأبرز أعلامها في الغرب، ومعبود بقر بلاليص ستان من العلمانيين والليبراليين في الشرق.

فأبو الحرية والليبرالية كان من المساهمين في شركة الهند الغربية الفرنسية Compagnie des Indes، وكانت تجارة العبيد إلى القارة الأمريكية إحدى أنشطتها الرئيسية، وتكريماً لفولتير بعد أن اشتهر وصار أبرز أعلام الحرية والإنسانية في أوروبا أطلقت الشركة اسمه على إحدى سفنها العاملة في تجارة العبيد(!)

وفولتير نفسه كان يملك سفينة تعمل في نقل الأفارقة إلى القارة الأمريكية.

وفي الكتاب الذي كتبه فولتير بعنوان: رسالة عن روح الأمم وأخلاقها Essai sur les moeurs et l'esprit des Nations، يقول أبو الحرية والليبرالية:

"نحن نشتري من يخدمون في بيوتنا من السود، والبعض يستنكر ذلك، ولكن هذه التجارة تظهر تفوقنا وسيادتنا Ce métier démontre notre supériorité، والشخص الذي يرضى أن يكون عبداً لشخص آخر يملكه إنما وُلد ليكون كذلك"(!).

ولأن الحرية والإنسانية ليست سوى أغلفة للدوافع الحقيقية والتاريخية لإطلاق العبيد، فلن تعجب إذا علمت أن بريطانيا الماسونية، ملكة تجارة العبيد والمسيطرة عليها، وصاحبة أكبر نصيب في استعباد الأفارقة عبر القرون، والتي حولت الاستعباد إلى تجارة شرعية، بما وضعته من قوانين ولوائح منظمة لها، وملوكها كانوا على رأس الشركة الملكية الإفريقية، أكبر شركة في التاريخ لقنص الأفارقة والتجارة فيهم، بريطانيا هذه، هي نفسها التي رفعت مع

مطلع القرن التاسع عشر رايات تحرير العبيد، وصارت القوة المحركة خلفه بأساطيلها التي تجوب المحيطات والبحار.

والحركات السرية التي بدأت تجارة العبيد، واليهود سادة تجار العبيد، صاروا هم أنفسهم الرواد الرافعين لشعارات تحرير العبيد.

وقبل أن نعرفك بالدوافع الحقيقية لتحرير العبيد، إليك نبذة عن هذا التحرير.

في ٢٥ مارس ١٨٠٧م، أصدر البرلمان البريطاني قانوناً بـ:

"تحريم تجارة العبيد، ومنع نقلهم على السفن البريطانية، ومعاقبة السفن المخالفة للقرار بمصادرتها، أو غرامة قدرها ١٠٠ جنيه إسترليني عن كل رأس من العبيد، ومنح سفن الأسطول البريطاني سلطة تفتيش السفن ومصادرتها، وإلزام مالكي العبيد في بريطانيا بتسجيلهم في سجلات رسمية".

وفي مؤتمر فيينا سنة ١٨١٥م، الذي انعقد لترتيب الأوضاع في أوروبا بعد حروب نابليون، وقَّعت بريطانيا وفرنسا اتفاقية لمنع تجارة العبيد في المستعمرات التابعة لهما، والعمل على إنهاء تجارة العبيد.

وفي سنة ١٨١٧م، وقعت بريطانيا اتفاقية مع إسبانيا والبرتغال، حصلت بها على حق تفتيش سفن الدولتين لمنع تجارة العبيد، ثم انضمت فرنسا إلى الاتفاقية سنة ١٨٣١م.

وفي ٢٧ يوليو ١٨٣٣م، أصدر البرلمان البريطاني مرسوماً بتحرير العبيد في بريطانيا ومستعمراتها، على أن يبدأ سريان المرسوم من أول أغسطس ١٨٣٤م، ونص المرسوم على:

"تحرير العبيد، على أن يكون التحرير متدرجاً، لأن العبيد ليسوا مؤهلين للحرية، وذلك بان يظل العبد الذي تم تحريره في خدمة مالكه بلا أجر، لمدة ١٢ سنة لمن يعملون في المزارع، و٧ سنوات لمن يخدمون في البيوت، مع تعويض مالكي العبيد في المستعمرات البريطانية في الهند الغربية/القارة الأمريكية".

وخصصت الحكومة البريطانية ٢٠ مليون جنيه إسترليني لهذه التعويضات، وكان الفاعل الرئيسي خلف إصدار المرسوم وزير الخارجية هنري جون تمبل بالمرستون Henry John Temple Palmerston.

وفي سنة ١٨٦٤م أصدر إمبراطور فرنسا نابليون الثالث، مرسوماً بإلغاء تجارة العبيد في المستعمرات الفرنسية.

وبين ١٥ نوفمبر ١٨٨٤م و٢٦ فبراير ١٨٨٥م انعقد مؤتمر برلين، واشتركت فيه ١٣ دولة أوروبية، وكانت تسيطر على أعماله وقراراته بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا، ونصت المادة التاسعة من بيان المؤتمر على أن:

"تجارة العبيد ممنوعة براً وبحراً، طبقاً لمبادئ القانون الدولي الذي تعترف به القوى الموقعة على مرسوم المؤتمر، ولذا تعلن القوى التي لها حقوق سيادة ونفوذ في مناطق حوض الكونغو، أنها لن تستخدم هذه المناطق كأسواق للعبيد، وتلتزم باتخاذ كافة الوسائل لإيقاف هذه التجارة ومعاقبة المشتغلين بها".

تحرير العبيد في القارة الأمريكية

أما على الجانب الآخر من الأطلنطي، فجُل المستعمرات الأمريكية كانت قد استقلت عن بريطانيا سنة ١٧٧٦م، فلم يسر مرسومها بتحرير العبيد الصادر سنة ١٨٣٣م عليها، وظلت تجارة العبيد عبر الأطلنطي قائمة رغم تجريمها، من خلال التجار البريطان وغير البريطان، خصوصاً في مناطق الجنوب والغرب الأمريكي.

وحتى منتصف القرن التاسع عشر كان متوسط عدد الأفارقة الذين يتم استعبادهم ونقلهم من إفريقيا إلى القارة الأمريكية ١٣,٠٠٠ إفريقي سنوياً.

وكان دستور اتحاد الولايات الأمريكية الذي وقعه ممثلو الولايات التي اشتركت في الاتحاد، في ١٧ سبتمبر ١٨٨٧م، قد أقر الاستعباد وقنن تجارة العبيد، ولكن بصورة مقنعة، ودون أن يذكر لفظ العبيد، فنص في الفقرة التاسعة من المادة الأولى على أن:

"هجرة أو استقدام أولئك الأشخاص الذين تعتقد أي من الولايات الموجودة حالياً أن من المناسب دخولهم، لا يجوز للكونجرس أن يحظرهما قبل عام ألف وثمانمائة وثمانية (١٨٠٨م)، ولكن يمكن فرض ضريبة، أو رسم، على مثل هذا الاستقدام، لا يتجاوز أي منهما عشرة دولارات عن كل شخص".

ونص الدستور في الفقرة الثانية من المادة الرابعة على أن:

" أي شخص ملزم بالخدمة أو العمل في إحدى الولايات طبقاً لقوانينها، ويفر إلى ولاية أخرى، لا يجوز أن يعفى من تأدية مثل تلك الخدمة أو ذلك العمل بموجب أي قانون أو إجراء لدى هذه الولاية، بل يتوجب تسليمه عند طلب الجهة التي تؤدَي هذه الخدمات والأشغال لمصلحتها".

وقد قام الكونجرس بتعديل هذه الفقرات، سنة ١٨٦٥م، بضغط من الرئيس أبراهام لنكولن، وعرفت بالتعديل الثالث عشر Thirteenth Amendment.

وفي بدايات القرن التاسع عشر بدأت تتكون حركات لتحرير العبيد في الولايات الشمالية، وفي سنة ١٨٠٨م أصدر الكونجرس قراراً بحظر تجارة العبيد في الولايات الشمالية.

ولأن التحرير الفجائي للعبيد جميعاً ومرة واحدة، كما أخبرناك من قبل، يعني إطلاقهم في الشوارع دون مأوى ولا عمل ولا مورد رزق، والذي يفعل ذلك هو في الحقيقة يستخدم شعارات التحرير غلافاً لإخراج العبيد من أنسجة المجتمع، فقد كان تحرير العبيد دون ترتيب أي حقوق قانونية لهم، وواكب حركة التحرير في الولايات الشمالية حركتان لنفيهم خارج المجتمع في هذه الولايات.

الحركة الأولى هي إخراج العبيد المحررين من القارة الأمريكية كلها وإعادتهم إلى إفريقيا(!).

وكان الذي تزعم حركة إعادة الأفارقة إلى إفريقيا رئيس مجلس النواب هنري كلاي Henry Clay، وكان هو نفسه من أشد المتحمسين لتحرير العبيد من أصول إفريقية رغم أن معظمهم لم يروا إفريقيا مطلقاً، فأسس سنة ١٨١٦م جمعية الاستعمار الأمريكية American Colonization Society، وكان هدفها وبرنامجها الوحيد العمل على نقل العبيد المحررين في ولايات الشمال إلى إفريقيا.

ولم تكن دوافع هنري كلاي من حركته ومن جمعيته التحرير والإنسانية، بل نص هو نفسه في بيان تأسيس الجمعية على أن إعادة العبيد إلى إفريقيا لأن:

"**العودة إلى الوطن هي الخيار الأفضل للعبيد المحررين، لأن التمييز الناشئ من لون بشرتهم لا يمكن التغلب عليه، ومن الأفضل لهم ولبقية السكان أخذهم إلى أماكن أخرى**".

ومنذ سنة ١٨١٩م بدأت الجمعية في إرسال بعثات إلى سواحل إفريقيا الغربية لاختيار مكان مناسب لتهجير العبيد المحررين إليه، ووقع الاختيار على منطقة في ساحل القارة الغربي، جنوب غينيا، وهي المنطقة التي أطلق عليها البرتغاليون اسم: ساحل الفلفل Costa da Pimenta.

وبالفعل قامت جمعية الاستعمار الأمريكية سنة ١٨٢٠م، بالاتفاق مع الحكومة الأمريكية، بنقل آلاف الأفارقة المحررين من القارة الأمريكية إلى رأس ميسورادو Measurado، في ساحل الفلفل، وأقامت منهم مستعمرة تحت إشرافها وإدارتها، ثم وافقت الحكومة الأمريكية على استقلالها سنة ١٨٤٧م، فأصبحت دولة ليبيريا.

وأما الحركة الثانية، فهي تهجير العبيد المحررين في ولايات الشمال إلى ولايات الجنوب والغرب، وساعد على ذلك توسع هذه الولايات في زراعة القطن وحاجتها إلى أيدي عاملة كثيرة لاستصلاح الأراضي الشاسعة وزراعتها.

وحتى منتصف القرن التاسع عشر كان قد تم تهجير حوالي مليون من العبيد المحررين من ولايات الشمال إلى ولايات الجنوب والغرب، وصار العبيد ثلث تعداد سكان هذه الولايات، وهو ما منح ولايات الجنوب قوة تصويتية في الكونجرس، بمجلسيه الشيوخ والنواب، لأن الفقرة الثانية من المادة الأولى في الدستور الأمريكي نصت على أنه:

"يوزع عدد النواب والضرائب المباشرة بين مختلف الولايات التي قد يضمها هذا الاتحاد بنسبة عدد سكان كل منها، وهو العدد الذي يُحدد بأن يضاف إلى مجموع عدد السكان الأحرار، بمن فيهم أولئك المرتبطون بالخدمة لعدد من السنين، ثلاثة أخماس من عداهم من السكان".

والعبيد هم المقصودون بعبارة: **"من عداهم من السكان"**.

ومع الوقت بدأ العبيد في الهروب من ولايات الجنوب التي تبيح الاستعباد إلى ولايات الشمال التي تجرمه، وكان الكونجرس قد استقر على اتخاذ خط ماسون ديكسون Mason–Dixon line، الذي يقع عند دائرة العرض ٣٩,٤ شمال خط الاستواء، حداً فاصلاً بين ولايات الشمال التي يُجرم فيها الاستعباد وولايات الجنوب التي يُباح فيها.

وفي سنة ١٨٢٠م تفجرت مشكلة بين الجانبين بعد أن تقدمت ولاية ميسوري بطلب للانضمام إلى الاتحاد الفيدرالي الأمريكي، وكان عدد الولايات في الاتحاد إذ ذاك ٢٤ ولاية،

١٢ منها تجرم الاستعباد وتجارة العبيد، و١٢ منها تبيحها، وكانت ميسوري تبيحها، وضمها إلى الاتحاد يعني زيادة قوة ولايات إباحة الاستعباد على قوة ولايات تجريمه.

وانتهت المشكلة بتسوية ميسوري سنة ١٨٢١م Missouri Compromise، وبمقتضاها تم ضم ولاية ميسوري التي تبيح الاستعباد إلى الاتحاد الأمريكي، في مقابل أن تنفصل مين Maine عن ماستشوستس Massachusetts، التي تجرم الاستعباد، وتُضم إلى الاتحاد كولاية مستقلة، فيظل التعادل بين الجانبين قائماً.

وفي سنة ١٨٥٠ تفجرت المشكلة مرة أخرى، إذ قبِل الاتحاد الأمريكي ضم ولاية أوريجون Oregon، وولاية مينسوتا Minnesota، وهما تجرمان الاستعباد وتجارة العبيد، فتقدمت ثلاث ولايات جنوبية بطلب الانضمام إلى الاتحاد، وهي كاليفورنيا California، ونيومكسيكو New Mexico، ويوتاه Utah، وهددت ولايات الجنوب في الاتحاد بالانسحاب والانفصال عنه إذا لم يقبل ضم الولايات الثلاث على أنها من ولايات إباحة الاستعباد، وردت ولايات الشمال بأنها لن تسمح لولايات الجنوب بتفكيك الاتحاد الأمريكي حتى لو كان ذلك بخوض حرب ضدها.

وانتهت الأزمة الجديدة بتسوية سنة ١٨٥٠م، وبها تم ضم كاليفورنيا إلى الاتحاد الأمريكي على أنها من ولايات تجريم الاستعباد، وضم نيوميكسيكو ويوتاه على أن يترك الاختيار في كونهما من ولايات تجريم الاستعباد أو إباحته لسكانهما، مع التزام ولايات الشمال بإعادة العبيد الهاربين من ولايات الجنوب إليها.

ثم جاءت القشة التي قصمت ظهر البعير في ٦ نوفمبر ١٨٦٠م، مع فوز أبراهام لنكولن Abraham Lincoln، مرشح الحزب الجمهوري، وممثل ولايات الشمال، برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، في مواجهة جون بريكنريدج John Breckinridge، مرشح الحزب الديمقراطي، وممثل ولايات الجنوب، وكان برنامج الحزب الجمهوري ومرشحه لنكولن للرئاسة يحوي مادة عن منع الاستعباد في الولايات التي لا يوجد فيها، والعمل على تحرير العبيد تدريجياً في الولايات التي يوجدون فيها.

وخلال بضعة أشهر كان ممثلو سبع ولايات جنوبية قد أعلنوا في الكونجرس عن رغبتهم في الانفصال عن اتحاد الولايات الأمريكية، وهي ولايات تكساس وآلاباما وفلوريدا وميسيسبي وجورجيا ولويزيانا وكارولينا الجنوبية.

وفي فبراير ١٨٦١م عقد ممثلو الولايات السبع مؤتمراً في آلاباما، وقرروا الانفصال فعلاً عن الاتحاد الفيدرالي الأمريكي، وإنشاء اتحاد منفصل عنه باسم: كونفيدرالية الولايات الأمريكية Confederate States of America، وانتخبوا جيفرسون ديفيز Jefferson Davis رئيساً للكونفيدرالية، وقروا اتخاذ مدينة ريتشموند Richmond في كاليفورنيا عاصمة للكونفيدرالية، ووضعوا دستوراً نصوا فيه على إباحة الاستعباد وتجارة العبيد ونقْلهم بين الولايات، وظلت بقية ولايات الجنوب الثمانية دون تحديد موقفها، ولا الانحياز لأي جانب.

وفي ٤ مارس ١٨٦١م دخل لنكولن البيت الأبيض وتسلم الرئاسة، وفي ١٤ أبريل هاجمت قوات الولايات الجنوبية قلعة سومتر Summter، في خليج شارلستون Charleston، في ولاية كارولينا الجنوبية، واستولت عليها وأنزلت العلم الاتحادي ورفعت عليها علم الكونفيدرالية، فأعلن لنكولن الحرب على الولايات الجنوبية، وفرض حصاراً بحرياً على موانيها، فأعلنت أربع من ولايات الجنوب التي كانت على الحياد انضمامها إلى الكونفيدرالية الجنوبية، وفضلت الولايات الأربع الأخرى البقاء في الاتحاد الشمالي، وهي الولايات الجنوبية الحدودية المتاخمة لولايات الشمال.

وفي الأشهر الأولى من الحرب الأهلية حققت قوات الكونفيدرالية الجنوبية انتصارات كبيرة وفي مختلف الجبهات على القوات الفيدرالية الشمالية، وكبدتها خسائر فادحة، وصارت على مشارف واشنطن عاصمة الشمال، وفي يوم ٣٠ أغسطس ١٨٦٢م، ألحقت قوات الجنوب هزيمة ساحقة بقوات الشمال في معركة بل رن Bull Run، ثم في معركة أنتيتام Antietam بعدها ببضعة أيام، وهي إحدى أكثر معارك الحرب الأهلية الأمريكية شراسة ودموية.

وحتى هذه اللحظة لم يكن هدف لنكولن الحقيقي من الحرب تحرير العبيد، بل المحافظة على وحدة الاتحاد الأمريكي ومنع انفصال ولايات الجنوب، وقد نص هو نفسه على ذلك في

خطاب أرسله إلى صحيفة نيويورك تريبيون New York Tribune، يوم ٢٢ أغسطس ١٨٦٢م، وقال فيه:

"إن هدفي الأسمى من هذا الكفاح هو حماية الاتحاد والحفاظ عليه، وليس المحافظة على العبودية أو إلغاءها، وإذا تمكنت من الحفاظ على الاتحاد دون تحرير عبد واحد فسأفعل، وإذا تمكنت من الحفاظ عليه بتحرير جميع العبيد فسأفعل".

ولكن مع هزائم الاتحاد الشمالي وخسائره الفادحة أمام الكونفيدرالية الجنوبية، قرر لنكولن منازلة الكونفيدرالية بورقة تحرير العبيد، فأصدر في ٢٢ سبتمبر ١٨٦٢م إعلاناً ينذر فيه ولايات الجنوب، ويمهلها إلى بداية شهر يناير ١٨٦٣م، لتعلن إيقاف تمردها والعودة إلى الاتحاد الفيدرالي، وإذا لم تفعل يكون جميع العبيد في هذه الولايات أحراراً، ويُقبل انضمامهم إلى الخدمة العسكرية في الجيش والبحرية الفيدرالية، وقرر لنكولن في الإعلان أن ذلك إجراء حربي.

وفي يوم ١ يناير ١٨٦٣م، وبعد رفض ولايات الجنوب الإعلان والإنذار، أصدر لنكولن مرسوم تحرير العبيد The Emancipation Proclamation، ولأن الهدف الحقيقي من الإعلان والمرسوم ليس تحرير العبيد في الحقيقة، فقد نص على تحرير العبيد في الولايات الجنوبية الكونفيدرالية التي أعلنت انفصالها عن الاتحاد الفيدرالي، واستثنى الولايات الجنوبية الحدودية التي ظلت في الاتحاد ولم تنفصل عنه، رغم أنها تبيح الاستعباد وتجارة العبيد.

وهذا هو نص المرسوم:

"والآن، أنا أبراهام لنكولن، رئيس الولايات المتحدة، وبقوة السلطة التي أملكها كقائد أعلى للجيش والبحرية في الولايات المتحدة، في وقت التمرد المسلح ضد سلطة الولايات المتحدة وحكومتها، وكوسيلة حربية مناسبة وضرورية لإخماد هذا التمرد As a fit and necessary war measure for suppressing said rebellion، وفي اليوم الأول من يناير من سنة ربنا ١٨٦٣م، أقرر وأعلن أنه في الولايات وأجزاء الولايات التي ما زال أهلها في تمرد ضد الولايات المتحدة، وهي ولايات ...... أقرر وأعلن أن جميع

الأشخاص الذين يُعاملون كعبيد في هذه الولايات وأجزاء الولايات قد صاروا وسوف يصيرون أحراراً من هذا اليوم، وأن حكومة الولايات المتحدة، بما فيها سلطات الجيش والبحرية، سوف تعترف بحرية هؤلاء الأشخاص وتحافظ عليها".

وهدف لنكولن الحقيقي من مرسوم تحرير العبيد، هو توظيفه كورقة اقتصادية وعسكرية، يحرم بها ولايات الجنوب من قوتها العاملة ويزعزع اقتصادها، ويقلب بها موازين الحرب بعد هزائمه المتعددة أمام قوات الكونفيدرالية الجنوبية.

وهو ما حدث، إذ مع إعلان المرسوم بدأ العبيد في الهرب من الولايات الجنوبية في مجموعات كبيرة وبأعداد كثيفة، متجهين نحو الولايات الشمالية، وطالبين الانضمام إلى قوات لنكولن للقتال معه ضد قوات الجنوب، ووصل عدد العبيد االفارين من الجنوب إلى الشمال خلال بقية الحرب حوالي نصف مليون، وانضم منهم مائتا ألف إلى الجيش والبحرية، ومات أربعون ألفاً منهم في جبهات القتال، وأعلنت بريطانيا تأييدها لولايات الشمال، رغم أنها كانت على خلاف معها وتحالف ولايات الجنوب، وحققت قوات الشمال انتصارات متلاحقة على ولايات الجنوب.

وفي ٣١ يناير ١٨٦٥م أقر كونجرس الفيدرالية الشمالية التعديل الثالث عشر للدستور، وحذف منه المواد التي تبيح الاستعباد وتقننه، وفي ٩ مايو ١٨٦٥م أعلنت قوات الكونفيدرالية الجنوبية استسلامها، لتنتهي الحرب الأهلية الأمريكية بالحفاظ على ولايات الجنوب ضمن الاتحاد الفيدرالي الأمريكي.

وفي يوم ١٤ أبريل ١٨٦٥م، وقبل الاستسلام النهائي للقوات الجنوبية، كان جون ويلكز بوث John Wilkes Booth، قد قام باغتيال لنكولن، وهو يشاهد مسرحية في مسرح فورد Ford، في واشنطن، وجون ويلكز بوث يهودي، وأسرته كانت إحدى الأسر اليهودية المسيطرة على تجارة العبيد في ولاية ماريلاند Maryland، وهي أسرة برتغالية الأصل من يهود السفارديم، واسمها الأصلي بوتا Botha، ثم غيرته إلى بوث مع هجرة ريكاردو بوتا Ricardo Botha، جد جون بوث الأعلى، إلى انجلترا، ثم إلى القارة الأمريكية.

وهكذا دخل لنكولن في كتب التاريخ التي يكتبها الأميون الذين يتعاملون مع العناوين والأغلفة ولا يرون ما تحتها وما خلفها من فحوى وحقائق، دخل لنكولن التاريخ على أنه محرر العبيد، رغم أن تحريره للعبيد لم يكن لأسباب إنسانية أو أخلاقية أو لإيمانه بالمساواة بين البشر وأنهم من أصل واحد، بل كان مثل كل الغربيين، يرفع شعارات يغلف بها دوافعه الحقيقية، ويؤمن في أعماقه وقرارة نفسه أن السود ليسوا في مرتبة البيض، وهذه هي عقيدته الحقيقية في العبودية والفرق بين البيض والسود، التي صرح بها في مؤتمر في ولاية إلينوي Illinois، سنة ١٨٥٩م، إبان حملته لانتخابات الرئاسة التي فاز فيها:

"لست من المؤيدين للمساواة الاجتماعية والسياسية بين الجنس الأبيض والجنس الأسود، ولم أكن يوماً كذلك، ولست من المؤيدين لأن يكون هناك ناخبون أو محلفون من الزنوج، ولا حتى تأهيلهم للعمل في الدواوين الرسمية، أو السماح لهم بالتزاوج مع الجنس الأبيض، فأنا أومن أنه يوجد اختلاف جذري بين البيض والسود يمنع تعايشهم معاً، ولكن بما أن هذا هو الواقع، فلابد أن يكون هناك تمييز بين الجنس الرفيع والجنس الوضيع There must be the position of superior and inferior، وأنا من أشد المؤيدين لأن تكون السيادة والمرتبة الرفيعة للجنس الأبيض Of having the superior position assigned to the white race".

دوافع تحرير العبيد في الغرب

والآن، وبعد أن علمتَ أن تحرير الإنسانية والمساواة بين البشرية والموازين الأخلاقية ليست سوى غلاف لمسألة تحرير العبيد في الغرب، وأن الذين رفعوا هذه الشعارات، وغلفوا بها ما فعلوه، لم يكونوا من المؤمنين حقاً بهذا التحرير والمساواة والموازين، بل كانوا على عقيدة الغرب الراسخة في تكوينه، عن تفوق الجنس الأبيض وسيادته، خصوصاً الأوربيين، ودناءة ترتيب الأفارقة السود في سلم البشرية، إليك دوافعهم الحقيقية لتحرير الأفارقة بعد أن استعبدوهم لأربعة قرون.

أولاً: ظهور الآلات والثورة الصناعية

والعامل الأول والحاسم خلف انقلاب موقف الغرب، خصوصاً بريطانيا، من مسألة العبيد، وسعيها لتحريرهم في مستعمراتها وفي العالم كله، بعد أن كانت هي نفسها على رأس مملكة الاستعباد وتجارة العبيد، هو في الحقيقة دخول عصر البخار وظهور المحركات البخارية، وتطور الآلات والثورة الصناعية، وليس المساواة والإنسانية.

وإليك أولاً مسألة أخرى انقلب موقف بريطانيا منها، بسبب تطور الآلات ودخول عصر الصناعة، لكي تقرب لك مسألة استعباد الأفارقة، وتساعدك على فهم سبب تغير موقف بريطانيا منها.

في أوائل القرن السابع عشر دخلت شركة الهند الشرقية البريطانية الهند، وقبل أن ينتصف القرن، كان قد صار للشركة في الهند ثلاثة وعشرون مقراً ووكالة تجارية، وصار للشركة أسطول من ست وثلاثين سفينة تجارية، وعشر سفن حربية لحماية مقراتها وسفنها التجارية، وكان نشاط الشركة الرئيسي، تجارة التوابل والملح والشاي، والقطن والحرير ومنسوجاتها.

ثم تحولت الشركة فعلياً إلى دولة مستقلة في الشرق، من حقها تكوين الجيوش وشن الحروب، والتوسع بالغزو، وصار لها في الهند ثلاثة جيوش نظامية، جنودها من الهنود وقادتها من ضباط الشركة الإنجليز.

والمسألة التي انقلب موقف الشركة ومملكة بريطانيا منها، هي صناعة النسيج، فقوة الشركة وسلطة جيوشها وتحالف مملكة بريطانيا معها أجبر حكام المقاطعات في الهند على منحها مراسيم باحتكار صناعة النسيج، وكانت صناعة يدوية، فقامت الشركة بخفض أسعار مستلزمات صناعة النسيج، وصار الحرفيون وصناع النسيج الهنود مجبرين على العمل في الشركة، إذ لا مكان آخر للعمل سواها، فسخرت مئات الآلاف منهم وخفضت أجورهم عما كان معتاداً، وتحكمت في تصنيف ما ينتجونه من نسيج، فكانت تصنف الأنسجة الممتازة على أنها رديئة، وتشتريها منهم بأبخس الأسعار، ثم تصدرها إلى انجلترا على أنها من الفئة الأولى وتبيعها بأعلى الأثمان.

ولكن في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ومع ظهور الآلات وميكنة صناعة النسيج، وزيادة قدرتها على الإنتاج على قدرة مصانع الهند التي تعتمد على العمال الهنود وإنتاجهم اليدوي، ظهرت مراكز لصناعة النسيج في لانكشاير Lancashire، ومانشستر Manchester، وبيزلي Paisley، وليفربول Liverpoole، وانقلب اتجاه حركة المنسوجات، إذ صارت المصانع البريطانية تصدر المنسوجات القطنية والحريرية للهند، بعد أن كانت بريطانيا تعتمد على واردات المنسوجات من الهند اعتماداً كاملاً، ثم تحت ضغط الطبقة الجديدة من الصناعيين وأصحاب المصانع، فرضت الحكومة البريطانية ضرائب على الواردات من الهند في سنة ١٨١٣م، تحت شعار حماية صناعة النسيج الصاعدة في بريطانيا، فقامت شركة الهند الشرقية البريطانية بإيقاف صناعة النسيج في الهند، وسرَّحت العمال الهنود الذين كانوا مسخرين عندها، وتحولت الهند إلى سوق لاستيراد النسيج من بريطانيا وتصريفه بعد أن كانت مركزاً لصناعته وتصديره إليها.

والآن إلى مسألة تحرير العبيد، استعباد الأفارقة وبداية تجارة العبيد كان مواكباً، كما رأيت، لحركة الكشوف الجغرافية، وازدهار هذه التجارة كان سببه الأول اكتشاف الأرض الجديدة، وتسخيرالأوربيين المستعمرين للقارة الأمريكية للعبيد كقوة عاملة قوية البنية، وبلا أجر ولا مقابل سوى إطعامهم أردأ أنواع الطعام وكسوتهم بما يستر عورتهم، للقيام بالأعمال الشاقة داخل القارة الشاسعة، والتي لا قدرة للأوروبيين أنفسهم على القيام بها، مثل استصلاح الأراضي البور المترامية، وفلاحة المزارع الواسعة، وحفر الآبار، ورفع الأحمال، والعمل في

المناجم، وتشييد المنازل والحصون، وشق الطرق وتمهيدها، والعمل كبحارة على متن السفن الشراعية التي تعمل بطاقة الرياح وأيدي البشر التي تحرك مجاديفها، وتسخير الفتيات والنساء للخدمة في البيوت والحظائر.

وفي سنة ١٦٩٨م اخترع الإنجليزي توماس سافري Thomas Savery أول محرك يعمل بطاقة تمدد البخار Steam Engine، وكان حجمه كبيراً وقدرته محدودة ويعمل بطاقة حرق الفحم، ويُستخدم بصورة رئيسية في تشغيل مضخات المياه في المناجم.

وفي سنة ١٧١٢م اخترع الإنجليزي توماس نيوكومن Thomas Newcomen محركاً بخارياً أكثر قدرة، ورغم انتشار محرك نيوكومن وشيوع استخدامه في مناجم الفحم ومصانع الحديد، إلا أن تصميمه الهندسي كان به عيوب تجعله يفقد ٧٠% من طاقة البخار التي يولدها، ويستهلك كميات كبيرة من الفحم.

وفي سنة ١٧٦٩م، قام الإسكتلندي جيمس وات James Watt بتطوير محرك نيوكومن وإدخال تعديل هندسي عليه، يمكن به تدوير البخار المفقود وإعادة استخدام طاقته في تشغيله، ويصلح للاستخدام العام وليس فقط في مضخات المياه، ثم قام ماتيو بولتن Matthew Boulton، وهو صاحب مصنع حديد في سوهو Soho، قرب برمنجهام Birmingham، وكان أحد أكبر مصانع الحديد في انجلترا كلها، بعقد اتفاق وتكوين شركة مع جيمس وات لإنتاج محركه واستخدامه في مصنعه وتسويقه تجارياً، وكان بولتون يقول عن مصنعه لإنتاج المحركات البخارية إنه ينتج فيه الشيء الذي يحتاجه العالم كله، وهو القوة المحركة.

وخلال بضع سنوات كانت جميع مناجم الفحم ومصانع الحديد في كل مكان من بريطانيا تعمل بالمحركات البخارية التي ينتجها مصنع بولتون ووات، وفي سنة ١٧٢٠م دخل المحرك البخاري في صناعة الروافع وآلات النسيج، فبدأت ميكنة مصانع النسيج في بريطانيا وإحلال الآلات مكان الصناعة اليدوية، وفي سنة ١٧٥٠م دخل في صناعة السفن، فحلت السفن التي تعمل بطاقة المحركات البخارية مكان السفن الشراعية التي تعمل بطاقة الرياح وأيدي البشر، والتي عبر بها الأوربيون البحار والمحيطات ووصلوا إلى الهند وإلى القارة الأمريكية،

وفي سنة ١٧٦٣م ظهرت أول سيارة تعمل بالمحرك البخاري، وكانت على ثلاث عجلات، وفي سنة ١٨٠٧م بدأت في انجلترا صناعة القطارات التي تعمل بالمحرك البخاري، فحلت مكان الدواب في حمل البشر ونقل البضائع.

ومع تطور المحركات البخارية ودخولها في صناعة جميع الآلات، وقدرتها على أن تفعل ما لا تقدر عليه قوة البشر الجسدية، وقدرتها أن تفعل في وقت وجيز وبتكلفة قليلة ما يحتاج إلى أموال طائلة ووقت طويل وجماعات كبيرة من البشر، فقدَ العبيد في بريطانيا ومستعمراتها أهميتهم كقوة عاملة في مجالات العمل الشاقة، وصارت تكلفة إطعامهم وإيوا ئهم الزهيدة بلا مبرر، بعد أن صار في قدرة الآلات أن تنتج إنتاجاً هائلاً في وقت قصير، وأن تفعل مالا يقدر العبيد على فعله.

فتحرير الأفارقة في الإمبرطورية البريطانية، مثل استغنائها عن عمال النسيج الهنود، كان نوعاً من تسريح العمالة التي لم يعودوا في حاجة إليها، وهو يشبه في القرن الحادي والعشرين الاستغناء عن العمال في المصانع والشركات التي تُحل التكنولوجيا محلهم.

وما يجب أن تعلمه هنا أن تحرير العبيد في بريطانيا، أو استغناءها عنهم، تواكب مع تحول بريطانيا إلى مملكة لمالكي البنوك وأصحاب المصانع والتجار، الذين سيطروا على مقاليدها، وصاروا هم في الحقيقة حكومتها والمتحكم في سياساتها، خصوصاً بعد تكوين بنك انجلترا سنة ١٦٩٤م، وحصوله على حق إصدار العملة الإنجليزية، وكان ذلك هو الثمن الذي دفعه الملك وليم الثالث William III البروتستانتي لمالكي أصول البنك مقابل تمويلهم لحربه ضد الملك جيمس الثاني James II الكاثوليكي، وهي الحرب التي وصل بها وليم الثالث إلى عرش بريطانيا، وكان مالكو بنك انجلترا ومؤسسوه مجموعة متحالفة من أسر اليهود والهوجونوت، وهي قصة طويلة أتيناك بها تفصيلاً في كتاب: بذور المشروع اليهودي في الشام، فارجع إليها.

وقد أخبرناك من قبل أن مرسوم تحرير العبيد في بريطانيا ومستعمراتها، الذي أصدره البرلمان البريطاني، في ٢٧ يوليو ١٨٣٣م، كان يحوي مادة تنص على تعويض الحكومة البريطانية لمالكي العبيد، وتم تخصيص ٢٠ مليون جنيه إسترليني لهذه التعويضات، وهي

تشكل إذ ذاك ٤٠% من ميزانية الحكومة البريطانية، وتساوي في زماننا حوالي ٢٠ مليار جنيه إسترليني، وقد وفرت الحكومة البريطانية هذا المبلغ الجسيم بالاقتراض من البنوك الخاصة بفائدة ٥%.

وفي دراسته الأكاديمية وكتابه: ثمن العبودية، مالكو العبيد والتعويضات والمجتمع البريطاني عند نهاية العبودية The Price of Emancipation, Slave Ownership, Compensation and British Society at the End of Slavery، يقول نيكولاس درابر Nicholas Draper، وهو باحث في مركز دراسات العبودية في كلية لندن University College London، إن اثنين من أصحاب البنوك في انجلترا هما اللذان قاما بتحديد قيمة التعويضات لمالكي العبيد، وهما أيضاً اللذان قاما بتدبير القرض اللازم لهذه التعويضات من البنوك الخاصة، ومن ضمنها بنكوهما، وهذا الاثنان كما نص درابر هما: ناثان روتشيلد Nathan Rothschild، رأس بنك أسرة روتشيلد، وموشيه مونتفيوري Moses Montefiore، رأس بنك أسرة مونتفيوري.

وما لم يخبرك به درابر أن ناثان روتشيلد وموشيه مونتفيوري عديلان، إذ زوجة ناثان روتشيلد هي حنا بيرنت كوهين Hannah Barent Cohen، وزوجة موشيه مونتفيوري هي أختها جوديث بيرنت كوهين Judith Barent Cohen، والاثنتان حنا وجوديث حفيدات الربي والتاجر الهولندي بيرنت كوهين، الذي هو جد كارل ماركس مؤسس الشيوعية، وحنا وجوديث عمّات كارل ماركس، وروتشيلد ومونتفيوري أصهاره.

ويقول نيكولاس درابر في كتابه إن التعويضات عن العبيد ذهبت إلى ثلاثة آلاف أسرة، فتفهم من ذلك أن هذه الأسر الثلاثة آلاف هي التي كانت تسيطر على تجارة العبيد في الإمبراطورية البريطانية ومستعمراتها.

وكان على رأس قائمة هذه الأسر التي حصلت على التعويضات أسرة بيرنج Baring، صاحبة بنك بيرنج، أحد أقدم بنوك انجلترا، وهي أسرة يهودية ألمانية وتحولت إلى البروتستانتية مع هجرة عميدها فرانز/فرانسيس بيرنج Franz/Francis Baring إلى انجلترا

أوائل القرن الثامن عشر، وهو الجد الأعلى للسير إيفلين بيرنج Evelyn Baring، الذي هو المندوب السامي البريطاني الأشهر في تاريخ مصر والمعروف باللورد كرومر.

وأسرة بيرنج استثمرت أموال التعويضات التي حصلت عليها من الحكومة البريطانية في الحصول لبنكها على امتياز شق خطوط السكك الحديدية، وقامت فعلاً، وبالاشتراك مع شريكها بنك روتشيلد الذي كان خلف التعويضات وقدر قيمتها، بشق خطوط السكك الحديدية بين المدن وداخلها في جميع أنحاء بريطانيا، فتفهم من ذلك أن الأسر التي كانت تسيطر على تجارة العبيد في بريطانيا، هي نفسها الأسر المالكة للبنوك والمصانع بعد الثورة الصناعية، وأنها ربحت من تحرير العبيد بعد فقدان أهميتهم بظهور المحركات والآلات أضعاف ما ربحته من التجارة فيهم، ثم وظفت ما ربحته من تحرير العبيد في بنوكها ومصانعها وشركاتها، وفي تقييد الدولة البريطانية بالديون وفوائدها لتستكمل سيطرتها عليها.

وظهور الآلات وحلولها محل البشر في العمل وقدرتها على الإنتاج الضخم مع توفير الوقت والتكلفة، هو نفسه سبب تحرير العبيد في القارة الأمريكية، وتفسير الخلاف والحروب بين ولايات الشمال الأمريكي وولايات الجنوب، فالخلاف بين الفيدرالية الشمالية والكونفيدرالية الجنوبية لم يكن في الحقيقة حول مسألة العبيد وتحريرهم، بل بسبب التضارب بين اقتصاد الشمال واقتصاد الجنوب، وموضع العبيد والآلات والصناعة من كل منهما.

فاقتصاد ولايات الشمال هو اقتصاد الصناعة والتجارة، ويقوم على الآلات، ويسيطر عليه أصحاب البنوك التجارية والمصانع، وعند بداية القرن التاسع عشر كان يوجد في الولايات المتحدة كلها ٣٣ بنكاً تجارياً خاصاً، ٢٤ منها في ولايات الشمال، بينما اقتصاد ولايات الجنوب هو الاقتصاد الزراعي الذي يعتمد على القوة العاملة البشرية في الري والزراعة وجني المحاصيل وحفر الآبار وشق القنوات، وسادة هذا الاقتصاد هم أصحاب المزارع الشاسعة.

وتحرير العبيد كان عنصراً ضمن عدة عناصر يتضارب فيها اقتصاد الشمال الصناعي التجاري مع اقتصاد الجنوب الزراعي، وأكبر عنصرين من هذه العناصر، مع مسألة العبيد، هما الحماية الجمركية، وتكوين بنك مركزي.

فأما الحماية الجمركية، فقد نص الدستور الأمريكي في الفقرة الثامنة من المادة الأولى على أن من سلطات الكونجرس:

"فرض الضرائب والرسوم والعوائد والمكوس وجبايتها، لدفع الديون، وتوفير سبل الدفاع المشترك، والنفع العام للولايات المتحدة، ويجب أن تكون جميع الرسوم والعوائد والمكوس موحدة في جميع أنحاء الولايات المتحدة".

ولأن ولايات الشمال هي ولايات الإنتاج الصناعي والتجارة، فقد تمكن ممثلوها في الكونجرس من استصدار عدة قرارات خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر بزيادة التعريفة الجمركية على الواردات من أوروبا لحماية الصناعة والتجارة في ولايات الشمال، وكان آخرها تعريفة موريل Morrill Tariff، التي جاءت مع دخول لنكولن إلى البيت الأبيض، بينما اعتبرت ولايات الجنوب هذه الزيادات إضراراً بمصالحها، لأن اقتصادها يقوم على تصدير ما تنتجه مزارعها إلى أوروبا، خصوصاً بريطانيا، في مقابل استيراد السلع ومنتجات المصانع منها، وإلزام ولايات الجنوب بزيادة التعريفة الجمركية يعني ارتفاع تكلفة ما تستورده من بريطانيا، وتحولُها للاستيراد من ولايات الشمال سوف يفقدها أسواق ما تنتجه مزارعها في أوروبا، وولايات الشمال نفسها قامت برفع أسعار ما تنتجه مصانعها مع رفع أسعار الواردات من أوروبا.

وكذلك مسألة البنك المركزي، فقد وقَّع جورج واشنطن سنة ١٨٩١م مرسوماً بإنشاء بنك: الرئيس والمديرون وشركاؤهم في بنك الولايات المتحدة The President, Directors and Company, of the Bank of the United States، والمشهور باسم: البنك الأول للولايات المتحدة First Bank of the United States، وتم إنشاء البنك فعلاً سنة ١٧٩٧م، واشتركت في تأسيسه وأصوله حكومة الاتحاد الأمريكي مع مجموعة من البنوك الخاصة، ثم منح الكونجرس البنك سلطة على جميع البنوك في الولايات المتحدة، وحق تنظيم الموارد والرقابة على جميع قطاعات الاقتصاد، وكان ذلك أحد الأسباب الرئيسية لتمرد ولايات الجنوب على الاتحاد الفيدرالي، لأن البنوك الخاصة المؤسسة للبنك الأول كلها في

ولايات الشمال، وما فعله الكونجرس يعني وضع أصحاب المزارع والاقتصاد الزراعي في الجنوب تحت سيطرة أصحاب البنوك والاقتصاد الصناعي التجاري في الشمال.

وكذلك مسألة العبيد، فتحرير العبيد قبل اندلاع الحرب بين الشمال والجنوب، كان يعني ازدهار اقتصاد ولايات الشمال الذي يقوم على الصناعة والتجارة والآلات، وانهيار اقتصاد ولايات الجنوب القائم على الزراعة وأيدي العبيد العاملة، وخضوع أصحاب المزارع في الجنوب لإرادة أصحاب البنوك والمصانع في الشمال.

وبعد اندلاع الحرب وخسائر الفيدرالية الشمالية، تحولت مسألة العبيد وتحريرهم إلى مسألة حربية، ووسيلة لاستقطاب العبيد ودفعهم للنزوح إلى الشمال، لإفقاد الجنوب قوته العاملة ودفع اقتصاده نحو الانهيار، وفي الوقت نفسه تجنيد هؤلاء العبيد وإشراكهم في المعارك ضد الجنوب.

ثانياً: من استعباد الأفارقة إلى استعباد إفريقيا

الدافع والهدف الحقيقي الثاني من سعي بريطانيا ودول أوروبا لإلغاء الاستعباد وتجارة العبيد الأفارقة، هو تطوير استراتيجية الغرب تجاه إفريقيا والشرق كله، من النزول على السواحل وإقامة الحصون والقلاع، وأسر الأفارقة وشحنهم لأوروبا والقارة الأمريكية، إلى السيطرة على البحار والمحيطات المحيطة بإفريقيا والشرق، والتوغل في مياهه والتمركز فيها، والانتقال من استعباد الأفارقة إلى استعمار إفريقيا كلها بأرضها وشعوبها وثرواتها.

وهنا ننبهك إلى مسألتين، الأولى: أن إفريقيا قارة خالصة للإسلام، فباستثناء القبائل الوثنية المفككة جنوب الصحراء، والحبشة المسيحية، لم يكن في القارة الإفريقية دول ولا مجتمعات منظمة سوى في البلاد المسلمة شمال الصحراء وجنوبها.

وإذا رجعت إلى كتابنا: اليهود والحركات السرية في الكشوف الجغرافية، ستعلم أن الهدف الحقيقي من حركة الكشوف الجغرافية، من بدايتها مع منظمة المسيح ومملكة البرتغال، وحتى وصول بريطانيا الماسونية إلى بحار الشرق ودخولها إلى مياه الإسلام، الهدف الحقيقي كان تطويق الشرق وبلاد الإسلام، والوصول إلى تخومها في الهند وبحار الشرق، للمرابطة فيها، وكنز الثروات اللازمة لتكوين الأساطيل والجيوش، من أجل القفز في المرحلة التالية على قلب بلاد الإسلام، وتحويلها إلى محضن للمشروع اليهودي، الذي هو الغاية الخبيثة والنهائية لجميع حملات الغرب على الشرق، ومن ضمنها استعمار إفريقيا.

وأما المسألة الثانية، فهي أن انتقال بريطانيا وأوروبا من استعباد الأفارقة إلى استعباد إفريقيا كلها، كان أيضاً من إفرازات الثورة الصناعية وظهور الآلات والمحركات البخارية، إذ مع تطور الإنتاج وضخامة ما تنتجه المصانع التي تعمل بها، صار أصحاب المصانع والتجار الذين يسيطرون على بريطانيا وسياساتها في حاجة إلى موارد طبيعية هائلة ومصادر متعددة للمواد الخام، وإفريقيا هي أغنى مصادر الموارد الطبيعية والمواد الخام.

وأيضاً دخول المحركات البخارية في صناعة السفن التجارية والحربية مكّن بريطانيا من الوصول إلى إفريقيا، ومنحها القدرة على التوغل في داخلها والوصول إلى أنهارها ومصادر ثرواتها وإخضاع شعوبها.

ولذا بعد أن كانت استراتيجية بريطانيا استعباد الأفارقة ونقلهم للعمل في مستعمراتها، صارت تسخير الشعوب الإفريقية كلها داخل أراضي إفريقيا، لكي تقوم عن طريقهم بنهب ثرواتها وتحويلها إلى المصانع في بريطانيا، ثم تحويل إفريقيا والشرق كله إلى أسواق لاستهلاك ما تنتجه هذه المصانع وتصريفه، ثم توظيف ذلك كله من أجل المشروع اليهودي وإقامة دولة بني إسرائيل.

والمؤرخون الأميون من ذوي الأدمغة المفككة، الذين يرون التاريخ وأحداثه متناثرة ومبعثرة ولا رابط بينها، يصفون القرن التاسع عشر بأنه قرن تحرير العبيد، دون أن يدركوا أن إلغاء تجارة العبيد لم يكن سوى مقدمة لاستعباد القارة الإفريقية كلها، لذا فالوصف الصحيح أن القرن التاسع عشر هو قرن تحرير الأوروبيين للعبيد واستعبادهم لإفريقيا.

فإذا أدركت ذلك، فلن تعجب إذا علمت أن قانون تحريم تجارة العبيد، الذي أصدره البرلمان البريطاني، في ٢٥ مارس ١٨٠٧م، كان هو نفسه ذريعة استعمار إفريقيا والخطوة الأولى في هذا الاستعمار.

في سنة ١٧٧٢م، حضر عبد اسمه جيمس سِمرست James Smerst، من جامايكا، إلى لندن، مع مالكه تشارلز ستيوارت Charles Stuart، وبعد القبض عليه عذَّبه مالكه، فرفعت إحدى الجمعيات التي تدعو لمنع تجارة العبيد، والتي بدأت تظهر في انجلترا، دعوى قضائية، وانتهت بحكم القاضي، اللورد مانسفيلد Mansfield، في ٢٢ يونيو ١٧٧٢م، بأن:

"جميع العبيد يصبحون أحراراً بمجرد أن تطأ أقدامهم أرض بريطانيا".

وترتب على هذا الحكم تحرير ١٤,٠٠٠ من العبيد في بريطانيا، ولأن تحرير العبيد الفجائي والجماعي، كما علمتَ، لا معنى له سوى إلقائهم في الشوارع، فقد هام هؤلاء الآلاف

في شوارع بريطانيا، خصوصاً في لندن، وتحولوا إلى متسولين ومجرمين، وتفشت فيهم الأمراض.

ولحل المشكلة التي ترتبت على هذا التحرير الفجائي، تكونت لجنة من التجار ورجال المال البريطان، وقدمت مشروعاً للبرلمان البريطاني، بإقامة مستعمرة في إفريقيا، وترحيل هؤلاء العبيد المحررين إليها!!

واختارت لجنة التجار وأصحاب البنوك منطقة تقع على المحيط الأطلنطي، في سيراليون Sierra Leone، في أقصى الغرب من الجزء الشمالي العريض في إفريقيا، ومنحتهم الحكومة البريطانية امتياز إقامة شركة سيراليون، وتأسيس المستعمرة، ثم قامت الشركة بشراء سفينتين وترحيل الأفارقة المحررين، سنة ١٧٧٨م، فصارت سيراليون مستعمرة بريطانية من الأفارقة البريطان، يديرها التجار البريطان تحت إشراف الحكومة البريطانية.

وبعد صدور قانون تحريم تجارة العبيد مباشرة، سنة ١٨٠٧م، اتخذ البرلمان البريطاني قراراً بتحويل ميناء فريتاون Freetown، في مستعمرة سيراليون، إلى قاعدة للأسطول البريطاني، لكي يقوم بعمل دوريات في المحيط بمحاذاة سواحل القارة الإفريقية، لمراقبة تجارة العبيد، ومصادرة سفن نقلهم، ثم صار القرن التاسع عشر قرن استعمار إفريقيا، فحولت الحكومة البريطانية سيراليون إلى مستعمرة بريطانية تابعة للتاج البريطاني، سنة ١٨٠٨م، وأرسلت سنة ١٨١٤م السير تشارلز مكارثي Charles McCarthy ليكون حاكماً للمستعمرة التي صار اسمها مستعمرة التاج الجديدة.

ومن مستعمرة التاج الجديدة في سيراليون والقاعدة البريطانية في فريتاون ضرب الأسطول البريطاني في غلاف مراقبة تجارة العبيد حصاراً على سواحل إفريقيا الغربية، ولم يعد ممكناً الملاحة ولا الحركة في مجالها إلا بإذن من قائد الأسطول البريطاني وضباطه.

وفي الخطوة التالية توغلت القوات البريطانية داخل أراضي إفريقيا، عبر نهر جامبيا الذي يصب في المحيط الأطلنطي، وضمت جامبيا التي تقع شمال سيراليون إلى مستعمرتها فيها، سنة ١٨٢١م، وفي سنة ١٨٤٣م فصلت جامبيا عن سيراليون، لتصبح جامبيا مستعمرة

بريطانية بذاتها، وجامبيا مسلمة وأهلها مسلمون، وكانت جزءًا من دولة الفولاني المسلمة في مالي،

ومن سيراليون وجامبيا إلى ساحل الذهب/غانا، الذي يمتد بطول خليج غينيا، عند المنطقة التي يلتقي فيها الجزء الشمالي العريض من القارة بالجزء الجنوبي الطويل.

وكانت شركة التجار البريطان لتجارة العبيد، قد أقامت عدة حصون في ساحل الذهب، وتسيطر من خلالها على طرق التجارة بين داخل إفريقيا والساحل، بالتحالف مع قبائل الفانتي، وفي سنة ١٨١٧م قامت مملكة الأشانتي بغزو ساحل الذهب بسبب عرقلة قبائل الفانتي وحصون شركة التجار البريطانية للتجارة في المملكة، وتمكنت مملكة الأشانتي من هزيمة قبائل الفانتي، وغزت حصون الشركة البريطانية المتحالفة معها، فأرسلت بريطانيا جوزيف ديبوي Joseph Dupuis، مبعوثاً خاصاً للتفاوض مع ملك الأشانتي، وانتهت المفاوضات بتوقيع معاهدة سنة ١٨١٩م، اعترفت فيها بريطانيا بسيادة مملكة الأشانتي على ساحل الذهب، في مقابل تعيين قنصل بريطاني لدى ملكها والتعهد بحماية التجار البريطان.

وفي سنة ١٨٢١م قامت الحكومة البريطانية بحل شركة التجار البريطانية، وضمت الحصون ومستوطنات التجار البريطان في ساحل الذهب إلى مستعمرتها في سيراليون، وأصبح تشارلز مكارثي هو الحاكم البريطاني لساحل الذهب، فسعى إلى ضم الشريط الساحلي فيه، عبر عقد اتفاقيات مع قبائله، فاندلعت سنة ١٨٢٤م معركة أخرى بين مملكة الأشانتي، تدعمها هولندا، وبين قبائل الفانتي وقوات مكارثي البريطانية، وانتهت المعركة بهزيمة الفانتي وقوات تشارلز مكارثي، فأرسلت إليه الحكومة البريطانية فرقة من الضباط والجنود، لتندلع معركة ثالثة سنة ١٨٢٦م، انتهت بهزيمة القوات البريطانية ومقتل مكارثي، فقررت الحكومة البريطانية الانسحاب من ساحل الذهب، وأرسلت إلى حاكم مستعمرة سيراليون الجديد، السير نيل كامبل Neil Campell، تعليمات بعدم توقيع اتفاقيات مع قبائل إفريقيا تتضمن الحرب معها أو الدفاع عنها، وبسحب الموظفين والحاميات البريطانية من الحصون في ساحل الذهب.

ورفض التجار البريطان العاملون في ساحل الذهب قرار الحكومة البريطانية، وقامت لجنة من هؤلاء التجار في لندن بالضغط عبر وكلائهم في البرلمان على الحكومة البريطانية، وانتهت المفاوضات بين لجنة التجار والحكومة بعقد اتفاق، سنة ١٨٢٨م، تكُون فيه الحصون ومستوطنات التجار البريطان في ساحل الذهب، تابعة للمستعمرة البريطانية في سيراليون، على أن يقوم بإدارتها مجلس يتكون من سبعة منتخبين من التجار البريطان في ساحل الذهب، تحت إشراف لجنة التجار في لندن، وتقوم الحكومة البريطانية بمنحهم أربعة آلاف جنيه إسترليني سنوياً مقابل هذه الإدارة.

وفي سنة ١٨٣٠م اختارت لجنة التجار في لندن الكابتن جورج ماكلين George Maclean، أحد ضباط الأسطول البريطاني في غرب إفريقيا، ليكون رئيساً لمجلس التجار الحاكم للحصون والمستوطنات البريطانية في ساحل الذهب، فعقد معاهدة مع الأشانتي لإنهاء حربها مع الفانتي والإبقاء على طرق التجارة بين الساحل والداخل مفتوحة وآمنة، وتغاضى عن تجارة العبيد، فازدهرت في عهده، الذي امتد خمس عشرة سنة، رغم أن منعها هو ذريعة بريطانيا الرئيسية للتدخل في شؤون إفريقيا والقبائل الإفريقية.

وفي سنة ١٨٤٢م أرسلت الحكومة البريطانية لجنة لتقصي الحقائق في مستعمراتها في غرب إفريقيا، فأوصت في تقريرها بأن تتولى الحكومة البريطانية حكم ساحل الذهب بنفسها، فاستعادت الحكومة في السنة التالية الحصون، ووضعتها تحت إدارة حاكم مستعمرة سيراليون، على أن يكون جورج ماكلين نائبه في ساحل الذهب.

ومع ازدياد نفوذ بريطانيا وتعاظم قوة أسطولها المرابط أمام سواحل إفريقيا الغربية، أجبرت مستعمرة سيراليون البريطانية، بتعليمات من الحكومة في لندن، ملوك قبائل ساحل الذهب، بما فيها الأشانتي، على توقيع اتفاقيات، سنة ١٨٤٤م، يتعهدون فيها بالخضوع للموظفين البريطانيين الرسميين، وتطبيق القوانين البريطانية على قبائلهم والأقاليم والمناطق التي تحت سيطرتهم، والالتزام بمنع تجارة العبيد.

وفي سنة ١٨٥٠م فصلت الحكومة البريطانية حصونها ومستعمرتها في ساحل الذهب عن سيراليون، واتخذت استراتيجية أخرى، فأرسلت أبناء زعماء القبائل، خصوصاً من الفانتي،

لتلقي التعليم في بريطانيا، وأقامت مجالس تشريعية ضمت إليها ملوك القبائل، ومن خلال هذه المجالس فرضت سياساتها عليهم، وأجبرتهم على فرض ضريبة رأس على أبناء القبائل، يدفعونها للحصون البريطانية في مقابل تأمين طرق التجارة.

وخلال العشرين سنة التالية كانت بريطانيا قد اشترت جميع الحصون الأوروبية الأخرى في ساحل الذهب، والتي كانت تحت سيطرة هولندا والدانمرك، وفي الوقت نفسه انتقلت خطوة أخرى، فوقعت اتفاقيات مع ملوك القبائل وأقاليم ساحل الذهب، يقبلون فيها الحماية البريطانية، وفي سنة ١٨٧٤م كان ساحل الذهب كله قد صار محمية بريطانية.

ومع ازدياد قوة قبائل الفانتي المتحالفة مع الحصون البريطانية، حاولت مملكة الأشانتي استعادة تجارتها ومكانتها في الساحل، فشنت حرباً على الفانتي سنة ١٨٧٤م، فأرسلت بريطانيا جيشاً من ٢,٥٠٠ ضابط وجندي يقودهم الميجور جنرال جارنت ولسلي Garnet Wolseley، مع مدافع وبنادق حديثة، فهزم مملكة الأشانتي، ودخل عاصمتها كوماسي وأحرقها، في ٥ فبراير ١٨٧٤م، ثم أجبر ملكها على توقيع اتفاقية فومينا Fomena، التي تعهدت فيها الأشانتي بدفع تعويض لبريطانيا قدره خمسون ألف قطعة ذهبية، وكانت تساوي إذ ذاك مائتي ألف جنيه إسترليني، مع تخلي مملكة الأشانتي عن السيادة على المناطق الساحلية نهائياً، وإبقاء العاصمة كوماسي مفتوحة أمام التجار البريطان، ومنع تجارة العبيد.

وهنا نعرفك بأن الميجور جارنت ولسلي، قائد الحملة على الأشانتي، هو نفسه قائد الحملة البريطانية التي احتلت مصر سنة ١٨٨٢م، وهو ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وكان الأستاذ الأعظم للمحفل العسكري رقم: ٧٢٨ Military Lodge, No. 728، في دبلن Dublin، ويتبع محفل أيرلندا الأعظم، وفي سنة ١٨٨٧م صار ولسلي القيم الأعظم Grand Warden، لمحفل انجلترا الأعظم.

وبعد هزيمة الأشانتي ضمت الحكومة البريطانية التي يرأسها اليهودي بنيامين دزرائيلي ساحل الذهب إلى المستعمرة البريطانية في لاجوس، ثم جاءت الخطوة النهائية سنة ١٩٠١م، بإعلان الحكومة البريطانية ضم محمية ساحل الذهب إلى التاج البريطاني، وأنها أصبحت من أملاك بريطانيا.

وأما لاجوس أو نيجيريا، فاسمها مأخوذ من اسم نهر النيجر، وكانت مقراً لعدة ممالك مسلمة، مثل الفولاني والبرنو وكانم واليوربا، وحين وصلت بريطانيا إليها كانت تحت سيطرة سلطنات الهوسا المسلمة في الوسط والداخل، وسلطنة سوكوتو المسلمة في الشمال.

وقد وضعت بريطانيا بذريعة منع تجارة العبيد ومراقبتها قوة تتكون من عشرين سفينة حربية، من أسطولها المرابط أمام سواحل إفريقيا الغربية، أمام ميناء لاجوس وسواحل نيجيريا، وفي سنة ١٨٢٧م استولى الأسطول البريطاني على جزيرة فرناندو بو Fernando Po، في مواجهة الساحل، وحولها إلى قاعدة بحرية، لمراقبة تجارة العبيد، وحماية مصالح التجار البريطان.

وضمن حملاتها لاستكشاف حوض نهر النيجر، أرسلت الحكومة البريطانية سنة ١٨٤١م حملة من ثلاث سفن للإبحار في نهر النيجر والقضاء على أسواق تجارة العبيد، والبحث عن مناطق في حوض النهر تصلح للزراعة.

وفي سنة ١٨٤٩م أرسل وزير الخارجية البريطاني بالمرستون، جون بيكروفت John Beecroft، قنصلاً في بنين، على أن تكون جزيرة فرناندو بو تحت سلطته، وتحت تهديد الأسطول البريطاني أجبر بيكروفت قبائل الساحل النيجيري على اتفاقيات يتعهدون فيها بمنع تجارة العبيد، ويوافقون على مراقبة بريطانيا لهذا المنع.

وبعد توقيع الاتفاقيات بسنة، سنة ١٨٥١م، قصف الأسطول البريطاني لاجوس، لرفض ملكها أوبا كوسوكو Oba Kosoko، توقيع اتفاقية منع تجارة العبيد، وأطاحت قوة بريطانية به، ونصبت مكانه أوبا أكيتوي Oba Akitoye، وأجبرته على توقيع الاتفاقية، ثم في سنة ١٨٦١م أعلنت الحكومة البريطانية أن لاجوس وساحل نيجيريا مستعمرة بريطانية، فأصبحت سواحل إفريقيا الغربية كلها، من سيراليون شمالاً، إلى نيجيريا جنوباً، مروراً بساحل الذهب وبنين وداهومي، خاضعة للنفوذ البريطاني.

ثم استكملت الحكومة البريطانية حملاتها لاستكشاف حوض نهر النيجر، وتوغل التجار البريطان وشركاتهم في المناطق الداخلية من نيجيريا، تحت حماية الأسطول، واحتكروا تجارة

زيت النحيل وتصديره لأوروبا، وفي سنة ١٨٨٦م حصلت شركة النيجر الملكية البريطانية Royal Niger Company على مرسوم من البرلمان باحتكار التجارة في حوض نهر النيجر.

وفي سنة ١٩٠٠م أعلنت الحكومة البريطانية المناطق الساحلية والوسطى من نيجيريا محمية بريطانية، باسم محمية نيجيريا الجنوبية، وأعلنت المناطق الشمالية محمية أخرى، باسم محمية نيجيريا الشمالية، ثم ضمت المحميتين معاً سنة ١٩١٤م، باسم محمية نيجيريا، ونصبت فردريك لوجارد Fredrick Logard أول مندوب سام بريطاني عليها.

وما فعلته بريطانيا في غرب إفريقيا، هو نفسه ما فعلته في شرقها، وفي مسقط ومشيخات الخليج، وكانت ذريعتها في ذلك والخطوة الأولى هي هي، منع تجارة العبيد ومراقبتها، إذ في سنة ١٨٢٠م، أجبر الجنرال وليام جرانت كير William Grant Keir، قائد القوة البحرية البريطانية التي أرسلتها حكومة الهند البريطانية في بومباي، أجبر شيوخ مشيخات الخليج وجزره، رأس الخيمة وأبو ظبي ودبي وعجمان والشارقة والفجيرة وأم القيوين والبحرين وقطر، على توقيع اتفاقية، ونصت المادة التاسعة فيها على أن:

"حمل الرقيق سواءًا كانوا رجالاً أم نساءًا أم أطفالاً، من سواحل إفريقيا أو غيرها، ونقلهم في السفن، من أعمال النهب والقرصنة، ويتعهد عرب الهدنة بعدم القيام بهذا العمل".

وفي سنة ١٨٢٢م أجبر الكابتن مورسبي Morsby، سعيد بن سلطان، سلطان مسقط وحليف حكومة الهند البريطانية، على توقيع اتفاقية، يتعهد فيها بمنع تجارة العبيد.

وكان هدف بريطانيا الحقيقي من إجبار سلطان مسقط ومشايخ الخليج على توقيع هذه الاتفاقيات، أولاً: توجيه ضربة قاصمة لاقتصاد مشيخات الخليج الذي يعتمد على الرقيق وهم قوته العاملة، وأيضاً لقوتهم المقاتلة، إذ جاءت هذه الاتفاقية بعد سلسلة من المواجهات الحربية البحرية بين أسطول حكومة الهند البريطانية وبين أسطول القواسم ومشيخات الخليج، وكان بحارته وجنوده من الأفارقة المجلوبين من زنجبار وسواحل إفريقيا الشرقية، وكان هؤلاء

الأفارقة يكرهون البريطان كراهية شديدة، وكانوا أشد شراسة في مواجهتهم من أبناء مشيخات الخليج أنفسهم.

وثانياً: لكي تكون هذه الاتفاقيات ذريعة يتوغل بها الأسطول البريطاني في الخليج ويرابط فيه على أنه يراقب تجارة العبيد، بينما غرضه الحقيقي هو السيطرة على الخليج وعلى جزره وشواطئه، والتمركز فيها وتحويلها إلى قواعد بحرية، تمهيداً للنقلة التالية، وهي الوثوب منها على قلب بلاد الإسلام، ليبدأ الجزء المرئي من المشروع اليهودي.

وهو ما حدث، فأجبرت حكومة الهند البريطانية مشايخ الخليج وسلطان مسقط، على توقيع اتفاقيات بمنع تجارة العبيد نهائياً، ومنح السفن الحربية البريطانية سلطة مراقبة هذه التجارة داخل الخليج وخارجه في بحر العرب وفي المحيط الهندي قبالة سواحل إفريقيا الشرقية، وحقها في اعتراض أي سفينة وتفتيشها للبحث عن العبيد، ومصادرتها إذا وجدتهم.

ثم سار السيناريو في نفس المسار الذي رأيته في غرب إفريقيا، لينتهي تحريم تجارة العبيد في الخليج وسواحل شرق إفريقيا، باستعباد بلدانه كلها، بأرضها ومياهها وبشرها، فأعلنت الحكومة البريطانية زنجبار محمية بريطانية سنة ١٨٩٠م، وكينيا سنة ١٨٩٣م، ثم أوغندا سنة ١٨٩٤م.

وفي الوقت نفسه، وخلال تسعينيات القرن التاسع عشر، أجبرت الحكومة البريطانية في الهند، تحت تهديد االأسطول البريطاني، سلطان مسقط ومشايخ الخليج، على توقيع معاهدات حصرية أبدية، صاروا بها جميعاً من جواري بريطانيا، ونصها:

"يتعهد الشيوخ وورثتهم وخلفاؤهم بالآتي: ١- ألا يدخلوا تحت أي ظرف في أي اتفاقية أو مراسلات مع دولة أخرى غير الحكومة البريطانية، ٢- ألا يسمحوا لوكيل أي حكومة بالبقاء في المناطق التابعة لهم إلا بموافقة الحكومة البريطانية، ٣- ألا يمنحوا أي جزء من المناطق التابعة لهم، سواء بالبيع أو الرهن أو الإيجار، أو بأي طريقة أخرى، تحت أي ظرف، لأي حكومة، ما عدا الحكومة البريطانية".

وفي أوائل القرن العشرين، صارت مشيخات الخليج وجزره محميات بريطانية، وجزءًا من مشروع بريطانيا الماسونية لإقامة دولة بني إسرائيل.

وبالإضافة إلى مستعمراتها في سواحل إفريقيا الغربية والشرقية، صار لبريطانيا ثماني مستعمرات أخرى في وسط القارة وجنوبها، هي: بتسوانا وروديسيا الجنوبية (زيمبابوي) وروديسيا الشمالية (زامبيا) وجنوب إفريقيا البريطانية والترانسفال ومستعمرات الكاب وناتال وأورانج.

واستعباد بريطانيا لبلدان ومناطق شاسعة من القارة الإفريقية، خصوصاً في سواحلها، واكبه استعمار واستعباد فرنسي، وفي غلاف محاربة تجارة العبيد أيضاً، وشعارات الثورة الفرنسية عن الحرية والإخاء والمساواة (!)، لتنتهي هذه الحرية والإخاء والمساواة في القرن التاسع عشر بإقامة سبع مستعمرات فرنسية في غرب إفريقيا، هي: موريتانيا والسنغال والسودان الفرنسي وغينيا وساحل العاج وفولتا العليا والنيجر، وخمس مستعمرات في إفريقيا الاستوائية، هي: تشاد وإفريقيا الوسطى والكاميرون والكونغو الفرنسية والجابون، وأربع مستعمرات في سواحل شرق إفريقيا، هي: الصومال الفرنسي وجيبوتي ومدغشقر وجزر القمر.

وفي ثمانينيات القرن التاسع عشر لحقت ألمانيا ببريطانيا وفرنسا، وصار لها خلال بضع سنوات أربع مستعمرات شاسعة المساحة في إفريقيا، هي الكاميرون الألمانية وتوجو، في غرب إفريقيا، ومستعمرة شرق إفريقيا الألمانية، وتضم رواندا وبوروندي وجزءًا من تنزانيا، ومستعمرة جنوب غرب إفريقيا الألمانية، وهي الآن ناميبيا.

وفي سنة ١٨٧٦م أسس ملك بلجيكا ليوبولد الثاني LéopoldII، الجمعية الدولية لاستكشاف إفريقيا وإدخالها في الحضارة International Association for Exploration and Civilising of Africa، ثم وظف المستكشف الإنجليزي الشهير هنري ستانلي Henry Stanty، في استكشاف حوض نهر الكونغو، لينتهي استكشاف إفريقيا وإدخالها في الحضارة بقتل ١٠ ملايين من أبناء القارة الإفريقية، من أجل إقامة مستعمرة الكونغو

البلجيكية، وكانت مساحتها تساوي ثمانين مرة مساحة بلجيكا نفسها، وتنتج ٧٥% من إنتاج العالم للماس.

وبعد أن صارت إفريقيا كلها بأرضها وشعوبها وثرواتها مستعمرات تتقاسمها دول أوروبا المختلفة، وبدأت تظهر الخلافات بينها على الحدود الفاصلة بين هذه المستعمرات، دعا مستشار ألمانيا، أوتو فون بسمارك Otto Von Bismarck، إلى مؤتمر دولي في برلين، تحضره جميع القوى الأوروبية التي تحتل إفريقيا ولها فيها مستعمرات، لتحديد مستعمرات كل دولة أوروبية ومناطق نفوذها في إفريقيا، وتنظيم العلاقات بينها، ووضع ترتيبات لحرية التجارة بينها، ولحرية الملاحة في أنهارها.

وانعقد المؤتمر في برلين، بين ١٥ نوفمبر ١٨٨٤م و ٢٦ فبراير ١٨٨٥م بحضور ١٣ دولة أوروبية، وانتهى بتوقيع بيان أو ميثاق عام General Act، وخلاصة ما أسفر عنه مؤتمر برلين للقوى الأوروبية، هي المادة ٣٤ من الميثاق العام للمؤتمر، ونصها:

"**البند الأول: أي قوة تحصل على منطقة ما في المستقبل تقع على سواحل إفريقيا، وتقع خارج ممتلكاتها الحالية، عليها أن تصحب ذلك بإعلان جميع القوى الأخرى في المؤتمر، البند الثاني: عدم إعلان أي دولة الحماية على منطقة من القارة الإفريقية دون أن تكون هذه الحماية مؤيدة باحتلال فعلي للمنطقة"(!!)**

ومؤتمر برلين الذي منح دول أوروبا، كما ترى، شرعية احتلال بلدان إفريقيا، وقسمها بينها، دون اعتبار لإرادة أهلها، ولم يحضره أي ممثل عن أي شعب من شعوب إفريقيا، هو نفسه المؤتمر الذي أخبرناك من قبل أنه نص في المادة التاسعة من بيانه وميثاقه العام على أن:

"**تجارة العبيد ممنوعة براً وبحراً طبقاً لمبادئ القانون الدولي الذي تعترف به القوى الموقعة على مرسوم المؤتمر، ولذا تعلن القوى التي لها حقوق سيادة ونفوذ في مناطق حوض الكونغو، أنها لن تستخدم هذه المناطق كأسواق للعبيد، وتلتزم باتخاذ كافة الوسائل لإيقاف هذه التجارة ومعاقبة المشتغلين بها".**

فهل تيقنت الآن أن تحرير دول أوروبا للعبيد لم يكن سوى الوجه الأول من مسألةٍ، وجهها الآخر استعباد القارة الإفريقية كلها، بما عليها ومَن عليها؟



خريطة لإفريقيا، رسمتها وزارة المستعمرات الفرنسية، سنة ١٨٩٨م، موضح عليها المستعمرات الأوروبية المختلفة والحدود بينها، المستعمرات البريطانية باللون الأصفر، المستعمرات الفرنسية باللون الوردي، المستعمرات البلجيكة بالبرتقالي، المستعمرات الألمانية بالأخضر، المستعمرات البرتغالية بالبنفسجي؛ المستعمرات الإيطالية بالوردي المتقطع، المستعمرات الإسپانية بالبرتقالي المتقطع.

ثالثاً: الماسونية والحركات السرية والغاية الخبيئة

ولليهود والماسونية والحركات السرية غاية خبيئة من تحرير العبيد تمتزج بالأهداف الاقتصادية والاستعمارية لهذا التحرير، ولكي تدرك هذه الغاية الخبيئة وتفهمها يجب أن تعلم أولاً أن جميع الأسماء التي مرت بك، واشتركت في تحول الغرب من استعباد الأفارقة إلى تحريرهم واستعباد إفريقيا، في غلاف تحرير الإنسانية وشعارات المساواة بين البشر، هم من اليهود والماسون وأعضاء الحركات السرية.

ووزير خارجية بريطانيا هنري جون تمبل بالمرستون، الذي كان خلف إصدار البرلمان البريطاني مرسوم تحرير العبيد في بريطانيا ومستعمراتها، في ٢٧ يوليو ١٨٣٣م، ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وراعي الماسونية في أوروبا، وينقل الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، آرثر إدوارد ويت Arthur Edward Waite، وهو أيضاً الأستاذ الأعظم لحركة الروزيكروشيان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عن كتاب: الشيطان في القرن التاسع عشر Le Diable Au XIXe Siècle، للماسوني دكتور بتالي Dr. Bataille، أنه في القرن التاسع عشر، ومن أجل رأب الصدع والتقريب بين الفرع الأوروبي، الفرنسي والإيطالي، من الطقس الاسكتلندي، الذي يؤمن بالإنسان فقط وينكر الوجود الإلهي ويطرد من يؤمن به من محافله، وبين الفرع الأنجلوسكسوني الأمريكي، الذي يشترط في عضويته الإقرار بموجود أعلى وإن لم يشترط له صفة ولا وصفاً، أسس الجنرال ألبرت بايك Albert Pike، القائد الأعلى للمجلس السامي للطقس الاسكتلندي في الولايات المتحدة، أسس طقساً جديداً، دمج فيه بين الماسونية الاسكتلندية وعبادة لوسيفر، وقصر عضويته على الماسون في الولايات المتحدة وأوروبا، من حائزي الدرجتين الثانية والثلاثين والثالثة والثلاثين في الماسونية الاسكتلندية، ولوسيفر هو اسم في التراث الغربي للشيطان الذي دل الإنسان على شجرة المعرفة في سفر التكوين.

ويقول ويت ومؤرخة الحركات السرية مدام كوين بورو، وكلاهما ينقل عن الماسوني الفرنسي دكتور بتالي، وعن الماسوني الإيطالي دومنيكو مارجيوتاDomenico Margiotta،

إنـه بالاشـتراك مـع صـديقه الماسـوني مـن الدرجـة الثالثـة والثلاثـين جوتزيـب مـاتزيني Giuseppe Mazzini، أحد أبطال الثورة والوحدة الإيطالية، وأحد مؤسسي ألمافيا:

"كوَّن بايك وماتزيني أربعة محافل مركزية لنشر عقيدة لوسيفر بين ماسون الطقس الاسكتلندي من الدرجات العليا، الأول في محفل شارلستون Charleston في ولاية كارولينا الجنوبية في الولايات المتحدة، وأستاذه الأعظم ألبرت بايك، وهو نفسه الأستاذ الأعظم لمحفل شارلستون، والمحفل الثاني في روما، وأستاذه الأعظم ماتزيني، والمحفل الثالث في برلين، وأستاذه الأعظم الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، الزعيم الألماني وموحد ألمانيا ومستشارها أوتو فون بسمارك Otto Von Bismark، والمحفل الرابع في لندن، وأستاذه الأعظم الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وزير خارجية بريطانيا ورئيس حكومتها اللورد هنري جون تمبل بالمرستون، وفي سنة ١٨٧٠م (بعد وفاة بالمرستون) تم دمج المحافل الأربعة في طقس الحكمة الجديد Palladian Rite".

والقرن التاسع عشر، قرن تحرير بريطانيا للعبيد، هو قرن الملكة فكتوريا، التي ظلت على العرش البريطاني طوال القرن التاسع عشر، من سنة ١٨٣٧م إلى سنة ١٩٠١م، وهي أول من يحكم بريطانيا من أسرة ساكس كوبرج جوتا Saxe Coburg And Gotha، وأمها فكتوريا ماري لويزا Victoria Mary Louisa، ابنة فرانز فريدريك Franz Frederick، دوق ساكس كوبرج، وهي أسرة ألمانية الأصل وليست انجليزية، وهي من فروع الأسرة الميروفنجية، وهم من اليهود الأخفياء، وقد ظل ساكس كوبرج جوتا لقب الأسرة المالكة رسمياً، حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى، وأصبحت بريطانيا في حرب ضد ألمانيا، فاضطر الملك جورج الخامس مراعاة لمشاعر الإنجليز الذين يحكمهم إلى تغيير لقب الأسرة إلى وندسور الإنجليزي Windsor.

فالأسرة المالكة البريطانية من اليهود الأخفياء Crypto Jews، إضافة إلى أنها ورثت عن الأسر السابقة التحالف مع الماسونية ومحفل انجلترا الأعظم.

وأبو الملكة فكتوريا، الأمير إدوارد دوق كنت Edward, Duke Of Kent، ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وكان الأستاذ الأعظم لمحفل انجلترا الأعظم العتيق Ancient

Premier Grand Lodge، قبل أن يندمج مع محفل انجلترا الأعظم الأصيل Grand Lodge، سنة ١٨١٣م، ليتكون باندماجهما محفل انجلترا الأعظم الموحد United Grand Lodge Of England.

وبعد وفاة الملكة فكتوريا، سنة ١٩٠١م، وقد جلست على عرش بريطانيا أربعة وستين عاماً، خلفها أكبر أبنائها، الأمير ألبرت إدوارد ساكس كوبرج جوتا Albert Edward Of Saxe Coburg And Gotha، ليصبح ملك بريطانيا والهند، باسم الملك إدوارد السابع Edward VII، وهو أيضاً ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وكان قبل أن يعتلي العرش ويصبح ملك بريطانيا، وفي عهد أمه الملكة، كان عضو المجلس السامي للماسونية في انجلترا، والأستاذ الأعظم لمحفل انجلترا الأعظم ستة وعشرين عاماً، من سنة ١٨٧٥م إلى سنة ١٩٠١م، فانتقل من سدة محفل انجلترا الأعظم إلى عرش بريطانيا مباشرة، اتباعاً للحلف الذي بين المحفل والمملكة، والتقليد الذي يقضي بأن يكون الأستاذ الأعظم للمحفل من الأسرة المالكة، ولكنه يمنع الجمع بين عرش الماسونية والعرش البريطاني في وقت واحد.

وبعد أن اعتلى الملك إدوارد السابع العرش منحه محفل انجلترا الأعظم لقب حامي الأخوية Protector Of The Craft، وخلفه في رئاسة محفل انجلترا الأعظم ومنصب أستاذه الأعظم أخوه وثالث أبناء الملكة فكتوريا، الأمير آرثر ألبرت دوق كانوت Arthur Albert Duke Of Cannaught.

وإمبراطور فرنسا نابليون الثالث الذي أصدر مرسوم إلغاء تجارة العبيد في المستعمرات الفرنسية، سنة ١٨٦٤م، هو ابن لويس بونابرت، وكان أبوه نائب الأستاذ الأعظم للشرق الأعظم الفرنسي في عهد أخيه الإمبراطور الماسوني نابليون الأول، ونابليون الثالث نفسه، كما يقول ألبرت ماك كي في موسوعته الماسونية، ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وكان عضواً في المجلس السامي للطقس الاسكتلندي، وبعد تنصيب نفسه إمبراطوراً لفرنسا، وضع نابليون الثالث محافل الشرق الأعظم الفرنسي تحت رعايته، وفي سنة ١٨٦٢ م، وحسب رغبته وتحت رعايته، تم انتخاب الأمير لوسيان مورا Lucien Murat، ابن عمته كارولين بونابرت، أستاذاً أعظم للشرق الأعظم.

ومستشار ألمانيا، بسمارك، الذي قام بتنظيم مؤتمر برلين، لتحديد مناطق نفوذ كل دولة أوروبية ومستعمراتها في إفريقيا، ونص ميثاقه على عمل الدول الأوروبية المشترك من أجل إيقاف تجارة العبيد ومعاقبة المشتغلين بها، بسمارك، كما علمتَ، ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وأحد الذين اشتركوا مع ألبرت بايك في تكوين طقس الحكمة الذي دمج بين الماسونية الاسكتلندية وعبادة لوسيفر.

وملك بلجيكا ليوبولد الثاني الذي أقام مستعمرة الكونغو على دماء ١٠ ملايين إفريقي، وأحد قادة مؤتمر برلين، كان عضواً في الشرق الأعظم البلجيكي Grand Orient de Belgique، الذي تكون تحت رعاية أبيه، الملك ليوبولد الأول، سنة ١٨٣٣م.

والأسرة الملكية في بلجيكا هي الأخرى فرع من أسرة ساكس كوبرج جوتا، وليوبولد الأول هو خال الملكة فكتوريا، وليوبولد الثاني ابن خالها.

وأبراهام لنكولن، الذي دخل التاريخ على أنه محرر العبيد، كان عضواً في مجلس الثلاثة Counci of Three، الذي يقود حركة الروزيكروشيان/الصليب الوردي الأمريكية، وفي سيرة لنكولن التي نشرتها مجلة عالم الماسونية الفرنسية Monde Maconnique، بعد اغتياله سنة ١٨٦٥م، أنه كان عضواً في محفل نيويورك الأعظمGrand Lodge of New York .

وأما الهدف الخبئ لليهود والماسونية والحركات السرية من تحرير العبيد، ويمتزج بالأهداف الاقتصادية والاستعمارية ويتدسس فيها، وهو الهدف الذي مكنهم منه تطور الآلات والثورة الصناعية، وما تبع ذلك من إمكانية الاستغناء عن العبيد كقوة بشرية عاملة دون خسائر اقتصادية، بل بمكاسب كبيرة، وما واكب ذلك من تطور وسائل الإعلام والخطاب العام، هو أن هذا التحرير جزء من استراتيجية دفع البشرية كلها نحو الفردية المطلقة، ونسف التراتب الاجتماعي، وإذابة جميع الروابط بين البشر، وإخراجهم جميعاً من تحت أي سلطة، وتحويل العلاقات بينهم إلى صراعات ومواجهات، يقف كل طرف منهم فيها في مواجهة الطرف الآخر، الأبناء في مواجهة سلطة الآباء، والزوجات في مواجهة الأزواج، والنساء في مواجهة الرجال، والعمال في مواجهة رأس المال، وعموم المجتمعات في مواجهة الساسة والحكام،

لكي تكون السلطة الوحيدة القاهرة لجميع البشر والمسيطرة على وعيهم، وتقوم بتشكيل عقولهم ونفوسهم، ودون أن يدركوا ذلك، هي سلطة وسائل الإعلام والخطاب العام، ووسائط اللهو والترفيه، ليصبحوا جميعاً، وفرادى متفرقين، عبيداً طواعية عند من يملكون هذه الوسائل والوسائط، ويحركونهم من خلالها في أي اتجاه يريدونه، وهم يتوهمون أنهم هم الذين يريدونه.

وقد يلتبس عليك الأمر، أو تفهم أن تجليتنا لدوافع الغرب واليهود والحركات السرية الحقيقية لتحرير مَن استعبدوهم مِن الأفارقة، يعني الانحياز لاستعباد البشر أو الدفاع عن تجارة العبيد، وهو ليس كذلك، بل هو بالضبط مثل أن يمنع الغرب شرب الخمور وتجارتها لأسباب تتعلق بآثارها على الاقتصاد والطاقة البشرية وكفاءة العمال، وبياننا لهذه الدوافع، وأنه لاعلاقة لها بفضائل ولا أخلاق، لا يعني دعوتنا إلى إباحة شرب الخمور وتجارتها.

ولكي نجنبك هذا الالتباس، نذكرك بأن تحرير الرقيق وإنهاء الاسترقاق مقصد الإسلام وروح الوحي، قرآناً وسنة، ولكن داخل منظومة عقائدية وقِيمية وأخلاقية مختلفة، ومن أجل غايات أخرى، غير منظومة الغرب ودوافعه لتحرير العبيد، فإذا تحقق هذا التحرير فعلاً، أياً كانت دوافعه، فلا عكس ولا عودة، ولا ينبغي أن تكون مهمة المسلمين إعادة الرق والاسترقاق إلى العالم بعد أن انتهى منه، والذي يوظف ما جاء في الإسلام بشأن الرقيق لتبرير ذلك لا يفهم الإسلام وهو أعمى عن غاياته ومقاصده، وعن روحه ومنهجه.

الأعراق والأجناس في الإسلام

لا يوجد في الإسلام قداسة لعرق أو جنس، ولا وصم لهم، بالدم والميلاد، والذي يزعم أن شعباً أو عرقاً أو جنساً معيناً مقدس في الإسلام بالدم والميلاد قداسة مطلقة وغير مشروطة، وبمعزل عن الإيمان والعمل، فزعمه ليس إلا تحريفاً كتحريف بني إسرائيل للعلاقة بين الإله والبشر وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾.

وميزان الإسلام في التفاضل والكرامة بين البشر نص عليه الله عز وجل في بيانه إلى خلقه:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣).

ونص عليه النبي عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع التي هي دستور الحقوق في الإسلام:

"**أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى**".

والله عز وجل لم يخاطب في كتابه وبيانه إلى البشر قوماً بجنسهم ونسبهم ودمائهم سوى بني إسرائيل، من أجل بيان تحريفهم لميزان الاصطفاء ولمعيار اختيار الإله لهم، وموقع هذا التحريف من التاريخ وآثاره في سيرة البشر، وقد فصلنا ذلك في كتاب: الوحي ونقيضه، وكتاب: شفرة سورة الإسراء.

وباستثناء بني إسرائيل، فكل خطاب من الله عز وجل لفئة من خلقه، فباعتبار عقائدهم وإيمانهم أو كفرهم، وليس باعتبار دمائهم وأجناسهم، ولم يوجه سبحانه وتعالى في كتابه خطاباً إلى العرب ولا إلى غير العرب، بل خطابه للذين آمنوا، من العرب ومن غيرهم.

والمقدس في الإسلام حقاً ليس الجنس العربي، بل اللغة العربية، التي أنزل الله عز وجل بها وحيه الخاتم ورسالته الأخيرة إلى البشرية بها، ونص على إنزاله بها:

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ (يوسف: ٢).

والذين شادوا علوم الإسلام وحفظوا سنة نبيه، كان جُلهم من غير العرب، فأئمة السنة وعلماء الحديث جميعاً، باستثناء الإمام أحمد، من غير العرب، البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة وأبو داوود والترمذي.

وأول أئمة الفقه الأربعة، أبو حنيفة، ليس من العرب، وإمام النحاة ورأس علوم اللغة العربية، سيبويه، ليس من العرب.

وقبل هؤلاء جميعاً، فأئمة القرآن الذين صارت القراءات تحمل أسماءهم، وتنتهي أسانيد القرآن إليهم، هم جميعاً من غير العرب، ما عدا أبي عمرو البصري، وابن عامر الدمشقي.

وقد نص على ذلك الإمام الشاطبي في منظومته حرز الأماني، التي جمع فيها القراءات وعلوم القرآن:

أَبُو عَمْرِهِمْ والْيحْصَبِيُّ ابْنُ عَامِرٍ ... صَرِيحٌ وَبَاقِيهِمْ أَحَاطَ بِهِ الْوَلَا

وخلاصة موقع العرب من الإسلام، أن لهم فيه منزلة رفيعة، ولكنها منزلة زمنية موقوتة، ومشروطة، وليست منزلة مطلقة، وليس مصدرها مجرد الدم والعرق، ولا هي بالوراثة.

فأما أن هذه المنزلة زمنية وموقوتة، فمعناه أن هذه المنزلة اختص الله بها عز وجل الجيل الأول من العرب والأجيال التي تلته، والتي استحقت هذه المنزلة، بنزول القرآن عليها، وبتحولها من الجاهلية الإسلام، وحملها للرسالة إلى عموم البشر وأدائها كاملة، وبإقامتها لدولة الإسلام، وإدخالها للناس في دين الله أفواجاً، واحتضانهم لغيرهم من شعوب الإسلام.

ودليل زمنية هذه المنزلة وأنها موقوتة وليست مطلقة، قوله تعالى:

﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾ (محمد: ٣٨).

وأما أن منزلة العرب الرفيعة في الإسلام مشروطة، فمعناه أن ميزانها ليس الدم والنسب، ولا الوراثة، بل هي في مقابل شروط وواجبات، إن وفاها العرب دامت لهم هذه المنزلة، وما كان لأحد أن يتقدم عليهم، وإن أهملوا هذه الشروط والواجبات ولم يوفوها، سقطت منزلتهم الرفيعة في الإسلام، وحل محلهم في المنزلة من يؤدي هذه الشروط والواجبات ويوفيها، وإن عادوا إليها عادت إليهم.

ودليل ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الإمام مسلم:

"الأئمة من قريش، ولهم عليكم حق، ولكم مثل ذلك، ما إذا استرحموا رحموا، وإذا حكموا عدلوا، وإذا عاهدوا وفوا، فمن لم يفعل ذلك منهم، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين".

وأئمة الإسلام الذين قالوا بمنزلة العرب الرفيعة في الإسلام، وتقديمهم على جميع الأجناس والأقوام الأخرى، إنما قالوا ذلك، لأنهم لابسوا الفترة الزمنية التي كان للعرب فيها هذه المنزلة فعلاً ويستحقونها، وليس على أن ذلك من المطلقات.

فإذا بُعث هؤلاء الأئمة هم أنفسهم، فهل كانوا سيحكمون لعرب بلاليص ستان بهذه المنزلة الرفيعة، وقد صار بأسهم بينهم شديداً، واستبدلوا برابطة الإسلام الإلهية رابطة الدماء والأقوام التوراتية، وجميعهم وَلايا يُدفع عنهم بالراح، وعبيد وجواري عند إمبراطوريات الغرب الماسونية، وباعوا من أجل البقاء في عروشهم التي أقامتها لهم هذه الإمبراطوريات القدس والمسجد الأقصى، وقد صاروا على أعتاب الانتقال من حَرَمْلك الإمبراطوريات الماسونية إلى حرملك دولة بني إسرائيل؟!

دكتور بهاء الأمير

١٢ ذو القعدة ١٤٤١هـ/٣ يوليو ٢٠٢٠م

دكتور بهاء الأمير

- **المؤلفات المطبوعة:**

١	كوسوفا، المذابح والسياسة، دار النشر للجامعات.
٢	النور المبين، رسالة في بيان إعجاز القرءان الكريم ، مكتبة وهبة.
٣	المسجد الأقصى القرءاني، دار الحرم للتراث.
٤	الوحي ونقيضه، بروتوكولات حكماء صهيون في القرءان، مكتبة مدبولي.
٥	اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، مكتبة مدبولي.
٦	اليهود والماسون في الثورات والدساتير، مكتبة مدبولي.
٧	اليهود والماسون في ثورات العرب، مكتبة مدبولي.
٨	شفرة سورة الإسراء، بنو إسرائيل والحركات السرية في القرءان، مكتبة مدبولي.
٩	بروتوكولات حكماء صهيون، تقديم ودراسة، مكتبة مدبولي.
١٠	الانفجار الكبير، ماذا غير القرءان في العالم وماذا أحضر للإنسانية، مكتبة وهبة.
١١	تفسير القرآن بالسريانية دسائس وأكاذيب والأصول القبالية لتفسير الحروف المقطعة بالسريانية، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٢	النازية واليهود والحركات السرية، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٣	التفسير القبالي للقرآن وفقه البلابيص، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٤	ولي الأمر المتغلب وهندسة المعيار والميزان، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٥	اليهود والحركات السرية في الكشوف الجغرافية، وشركة الهند الشرقية البريطانية، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٦	بلاليص ستان ١، أول الآتين من الخلف، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٧	بلاليص ستان ٢، بذور المشروع اليهودي في الشام، مطبوع على نفقة المؤلف.

- **دراسات ومقالات منشورة على الإنترنت(*):**

١	يهود الدونمة.
٢	اليهود والماسون في قضية الأرمن.
٣	حركة الجزويت اليسوعية.
٤	عن الإخوان والماسونية.
٥	معركة المادة الثانية من الدستور.

(*) روابط الكتب والدراسات في مدونة صناعة الوعي، ومدونة عالم الوحي على الإنترنت.

٦	قواعد في إدارة الصراعات والتعامل مع الأزمات.
٧	عن الفتنة والديمقراطية والحركات الإسلامية.
٨	نقد كتاب اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد.
٩	نقد استخدام حساب الجُمَّل والأعداد في الاستنباط من القرءان.
١٠	حقيقة ما يحدث في مصر.
١١	فرعون بين التوراة والقرءان.
١٢	المسألة الإخناتونية.
١٣	معركتنا مع اليهود نموذج قديم وأحداث جديدة.
١٤	الفريضة الغائبة عما يحدث في مصر، العلماء والميزان.
١٥	الشميطاه واليوبيل.
١٦	القبالاه والموسيقى.
١٧	نقد نظرية الأكوان المتوازية.
١٨	البِتكوين، العملة المشفرة.
١٩	حوار مع قادياني.
٢٠	قضية تحرير المرأة.
٢١	أصول دراسة إسلام بحيري عن سِن السيدة عائشة عند زواج النبي بها.
٢٢	رد على نقد بخصوص كتاب شفرة سورة الإسراء:١ ،٢ ، ٣.
٢٣	اليهود الأخفياء.
٢٤	رسم المصحف وكلمات القرآن.
٢٥	اليهود والاشتراكية.
٢٦	المملكة وأردوغان.
٢٧	حفظة الأكلشيهات.
٢٨	اليهودي كرستوفر كولمبس ومشروع المارانو.
٢٩	يهود الخزر.
٣٠	الأزمة في الجزائر وأزمة الشرعية في الدول العربية.
٣١	أحداث الحادي عشر من سبتمبر.
٣٢	الأرض المسطحة.
٣٣	آل عثمان حماة مياه الإسلام.
٣٤	الإسلام والحركات الإسلامية والثورات

٣٥	حوار مع كائن فضائي.
٣٦	الخلافة والمُلك والدولة العثمانية وبلاليص ستان.
٣٧	جوته والإسلام والماسونية.
٣٨	نقد كتاب السامري الساحر المصري الذي أسس الماسونية.
٣٩	السلطان عبد الحميد وعبد الرحمن الكواكبي.
٤٠	القبالاه روح عصر النهضة والتنوير.
٤١	العراقيل أمام دراسة المسألة اليهودية في بلاليص ستان.
٤٢	حكماء صهيون وبروتوكولاتهم.
٤٣	اليهود والسُلطة وحكم العالم.
٤٤	الفرق بين المماليك والآتين من الخلف.
٤٥	السلطان عبد الحميد وتيودور هرتزل.
٤٦	بريطانيا واليهود.
٤٧	نابليون الماسوني واليهود.
٤٨	مستوطنة في سيناء.
٤٩	مقدمة وتعليقات على كتاب: المؤامرة الكونية، ليان فان هيلسنج، وترجمة: م/أحمد حمدي.
٥٠	درجات الماسونية ومراتبها وكلمات السر والمرور.
٥١	الترك وقتالهم.
٥٢	القسطنطينية وآخر الزمان.
٥٣	أخطاء الإسلاميين في الثورة.
٥٤	حكم قتل الكافر الحربي.
٥٥	كورونا.
٥٦	اليهود في الصين.
٥٧	الرقيق في الإسلام وتجارة العبيد في الغرب.

- **قصص قصيرة:**

١	جيفارا.
٢	مجاهد بن عبد الله الأزهري.
٣	علميها رمي الحجر.
٤	أبو خربان.

- **المرئيات(•):**

أولاً: مع الكاتب والمفكر الإسلامي جمال سلطان في برنامج حوارات بقناة المجد:

١	بروتوكولات حكماء صهيون، في مواجهة دكتور عبد الوهاب المسيري ودكتور أحمد ثابت.
٢	اليهود في الغرب، في مواجهة دكتور عمرو حمزاوي.

ثانياً: مع الشاعر المبدع والإعلامي اللامع أحمد هواس في برنامج قناديل وبرنامج كتاب الأسبوع بقناة الرافدين:

١	الوحي ونقيضه.
٢	المسجد الأقصى القرءاني.
٣	خفايا شفرة دافنشي.
٤	ملائكة وشياطين.
٥	دور الحركات السرية في إنشاء الولايات المتحدة الأمريكية والرموز اليهودية والماسونية في الدولار الأمريكي.
٦	القبالاه، التراث السري اليهودي ، وآثارها في العالم.
٧	التنجيم والأبراج، أصلها وحقيقتها.
٨	البلدربرج حكومة العالم الخفية.
٩	الرمز المفقود.
١٠	لماذا العراق؟ خفايا الغزو الأمريكي للعراق.
١١	نبوءة نهاية العالم، الأساطير والحقائق.
١٢	البابية والبهائية، صِلاتها باليهود والغرب والحركات السرية.
١٣	القاديانية والنصيرية، صِلاتها باليهود والغرب والحركات السرية.

ثالثاً: مع الإعلامي والداعية الإسلامي خالد عبد الله في برنامج مصر الجديدة بقناة الناس:

١	خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الأول.
٢	خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الثاني.
٣	خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الثالث.
٤	الاحتفال الماسوني عند الهرم الأكبر، حقيقته والهدف منه.
٥	دكتور محمد البرادعي، مواقفه وأفكاره.

(•) مرئيات دكتور بهاء الأمير موجودة على شبكة المعلومات الدولية ، الإنترنت، في موقع يوتيوب وفي العديد من المواقع الأخرى.

رابعاً : مع الإعلامي والشاعر والداعية الإسلامي دكتور محمود خليل في برنامج الدين والنهضة بقناة مصر ٢٥:

١	الفوضى في مصر، أسبابها ومن المستفيد منها.
٢	مصر بعد الثورة، الأخطار الداخلية والخارجية.
٣	رمضان شهر القرءان.
٤	الثورة والدولة.

خامساً : مع الإعلامي ياسر عبد الستار في قناة الخليجية:

١	الماسونية والثورات.

سادساً : في قناة الحدث :

١	من خلف الثورات.
٢	المشروع اليهودي وحروب الجيل الرابع.
٣	من هي إسرائيل؟
٤	يهودية إسرائيل.
٥	حقيقة الماسونية

سابعاً: في معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٣م:

١	نقد كتاب: سر المعبد للأستاذ ثروت الخرباوي.

ثامناً: في عالم السر والخفاء، برنامج من إعداد وتقديم دكتور بهاء الأمير:

١	عالم السر والخفاء.
٢	جولة في عالم السر والخفاء.
٣	بيان الإله.
٤	الوحي.
٥	الطلاسم.
٦	في الملأ الأعلى.
٧	خريطة الوجود.
٨	الأمم المتحدة.
٩	حقوق الإنسان.
١٠	تحرير المرأة.
١١	اتفاقيات المرأة في الأمم المتحدة.
١٢	الهندوسية.

١٣	جمعية الحكمة الإلهية.
١٤	الحكيمة فوزية دريع.
١٥	حركة العهد الجديد والأمم المتحدة القبالية.
١٦	الماسونية وبناتها.
١٧	الوحي ونقيضه.
١٨	أخوية فيثاغورس
١٩	المخطوط العبري.
٢٠	قلب الماسونية.
٢١	وسائل الانفصال الاجتماعي.

تاسعاً: مقاطع وحوارات مصورة في المنزل:

١	بلاليص ستان: سبعة عشر مقطعاً.
٢	رد على نقد: أربعة مقاطع.
٣	الشورى والديمقراطية: أربعة مقاطع.
٤	أخطاء الإسلاميين: مقطعان.
٥	نبوءات: أربعة مقاطع.
٦	المادة الثانية من الدستور: خمسة مقاطع.
٧	التاريخ السري للغرب: ستة مقاطع.
٨	الوحي ونقيضه.
٩	العقائد والسياسة.
١٠	الناس من غير الدين بهائم.
١١	نفي الألوهية والخلق والوحي أصل الليبرالية والماركسية.
١٢	الأناركية.
١٣	حوار مع معالج بالطاقة.
١٤	علميها رمي الحجر.

- **السمعيات :**

١	برنامج في مكتبة عالم بإذاعة القرءان الكريم، ثلاث حلقات.
٢	برنامج مقاصد الشريعة بإذاعة القرءان الكريم، أربع عشرة حلقة.